

# علي بك الكبير



أحمد شوقي

علي بك الكبير



# علي بك الكبير

أو دولة المماليك

تأليف

أمير الشعراء أحمد شوقي

صفحات

<http://www.safahat.org>

علي بك الكبير

أمير الشعراء أحمد شوقي

### موقع صفحات

جميع الحقوق محفوظة للناشر موقع صفحات  
(شركة ذات مسئولية محدودة)

إن موقع صفحات غير مسئول عن آراء المؤلف وأفكاره

وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه

ص.ب. ٥٠، مدينة نصر ١١٧٦٨، القاهرة

جمهورية مصر العربية

تليفون: ٢٢٧٢٧٤٣١ ٢٠٢ + فاكس: ٢٢٧٠٦٣٥١ ٢٠٢ +

البريد الإلكتروني: safahat@safahat.org

الموقع الإلكتروني: <http://www.safahat.org>

جميع الحقوق الخاصة بصورة وتصميم الغلاف محفوظة لموقع صفحات.  
جميع الحقوق الأخرى ذات الصلة بهذا العمل خاضعة للملكية العامة.

Cover Artwork and Design Copyright © 2011 Safahat.

All other rights related to this work are in the public domain.

# المحتويات

٧

٩

٦١

٩٩

تمهيد

الفصل الأول

الفصل الثاني

الفصل الثالث



## تمهيد

- زمن الرواية:

حوالي سنة ١٧٧٠ ميلادية.

- مكانها:

الفسطاط والصالحية وعكا.

- أشخاصها:

علي بك الكبير: حاكم مصر، ويُلقَّبُ بشيخ البلد.

محمد بك أبو الذهب: مُتَبَنَّى علي بك والخارج عليه، ومن أمراء المماليك.

مراد بك: من أتباع علي بك وأولاده.

ضاهر العمر: صاحب حصن عكا وحليف علي بك.

مصطفى اليسرجي: (الجلاب).

آمال، شمس، زكية: إماء معروضات للبيع

عشاق: شاب شركسي مع الجلاب.

أم محمود: الماشطة والواسطة في بيع الجواري.

رزق الله الوكيل: وكيل علي بك.

بشير بك: من أصحاب علي بك.

عثمان بك: من أصحاب محمد بك.

قائد الأسطول الروسي في عكا.

أمراء.

جواسيس.

قواد.

علي بك الكبير

جند.

فتيات.

أغوات.

خدم.

## الفصل الأول

في قصر علي بك الكبير

(حجرة من القصر واسعة فخمة على الطراز الشرقي، مفروشة بنفيس الطنافس، قد نُثِرَتْ فيها الوسائد والصفوف وُزِيْنَ سقْفها بثريات الزجاج الملون المشكل وركزت في زوايا أرضها الشمعدانات الكبيرة ...)  
(جلس هناك في انتظار علي بك الكبير مصطفى اليسرجي (الجلاب) ومعه ثلاث فتيات شركسيات (آمال) و(شمس) و(زكية) وشاب شركسي اسمه عشاق من جنسهن وقرابتهن وأم محمود الماشطة)

زكية:

يا أمَّ محمود تلك دنيا      وهكذا فَلَتَكُ الْقُصُورُ  
وهكذا شمس في الليالي      تُنزل هالاتها البدورُ  
قصرُ سماواته الثَّرِيًّا      وأرضه الوشي والحريُّ

أم محمود:

ونحنُ يا شمس نحن بؤس      بيوتنا الجِصُّ والحَصِيرُ  
نُنْقَلُ من حُفْرَةِ لِاحِدٍ      تساوت الدورُ والقبورُ

علي بك الكبير

شمس:

يا أم محمود خبريني أها هنا ينزل الأميرُ

أم محمود:

أجل

شمس:

ومن ذا وما يُسمَّى؟

أم محمود:

سلطان مصر علي الكبير

شمس:

والطيبُ يا أمُّ لم تَشَمِّي النَّدَّ والمسكُ والعبيرُ

مصطفى:

لا تعجبي هم ملوكُ مصرِ دنياهُمُ الطيبُ والبخورُ

زكية:

وما الأميرُ يا يسر جي ما له من العُمر

مصطفى:

قد جاوز الشبابَ إلَّا أنه كهلٌ نضر

أم محمود الماشطة:

ما بلد العزِّ غير مصرٍ      كيف طَعَمْتُنَّ يا بناتُ

شمس:

طعامُ شاهٍ طعامُ عرسٍ      لم يَرو أمثالَه الرواةُ  
ما القصرُ ما الفرشُ ما الأواني      ما الأكلُ ما الشربُ ما الطهارةُ

مصطفى:

هذا هو المُلكُ مُلكُ مصرٍ      وهكذا الحظُّ والهباتُ  
وأنتِ      آمالُ؟

آمال:

خائِبانِي      ما تلكِ إلا خُزَعِلاتُ  
القصرُ كوخِي على جبالٍ      جَلَّها الثلجُ والنباتُ  
إذا عوى الذئبُ من مكانٍ      أجابه الكلبُ والرُّعاةُ

زكية:

أجل حنناً للجبال الشيبِ      وللمشتاء القارس العصيبِ  
وكلُّ راعٍ واقفٍ للذئبِ      أمَّن خوفَ الحملِ الرعيبِ  
تلمحه كالعالمِ المنصوبِ      والوعل في الجيئة والذهبِ  
والدَّيدبان في فم الدروبِ

مصطفى:

بخٍ بخٍ مرَحَى      يا كومةَ الشحمِ

علي بك الكبير

يا جَزْرَ بُلُوطٍ لکن من اللحم

أم محمود:

أعرفت يا جلاب أنك جئت بالحمل الثقيل  
عن تلك كان لنا غنى ما تلك إلا سقط فيل

مصطفى:

يا أمَّ محمودَ اقصدي لكل سلعةِ ثمن  
إن سَرَاةَ الناسِ في مصرَ يحبون السَّمَنُ  
وهذه الكَوْمَةُ فيـها سَمَنٌ لكن حَسَنُ

(يسمع أذان العصر بصوت شجي من محراب في دار الإمارة فتلتفت  
شمس بأم محمود وتقول):

شمس:

ما هذه الرنَّة في قبة القصر

زكية:

صوت من الجنَّة يهتف بالعصر

أم محمود:

ما زالت السُّنَّة والبرُّ في مصر  
يا رب أيِّدْها بالعز والنصر

شمس (لعشاق):

الفصل الأول

قم غنِّ يا عشاق      أغنية المعَّاز  
وناجِ بالأشواق      أحبة القوقاز

عشاق (يغني):

كوخ وراء الجبال      مُكلَّسٌ بالجليد  
فديته لا أبالي      بكل قصرٍ مَشيد  
ما مرَّ يومًا ببالي      إلا بللتُ خدودي

\*\*\*

يا منزل القوقاز      عم من بعيد صباحًا  
لمعت لمعةً بازي      في الجوِّ سلَّ الجناحًا  
سلَّم على المعَّاز      إذا غدا أو راحًا

\*\*\*

وقل له يا راعي      في الناي هات الأنينا  
اسمع على البعد راعٍ      صوتًا من الغائبينا  
هل أنت للعهد راعٍ      أم قد تركت الحنينا

(بعد صمت وإطراق من الجميع)

أم محمود (للبنات):

تعالين بنات الشر      كس الغيد تعاليننا

زكية:

ولم؟ ماذا؟

أم محمود:

علي بك الكبير

تَعَالَيْنَ      تَزِدُكُنَّ يَدِي زَيْنًا  
فلا أتركُ لا شعرا      ولا خدًّا ولا عينًا

أم محمود (لشمس):

تعالِي أيها الشقرا      وهاتي شعرك التبري  
هَلُمَّي اقتربي مني      وألقي الرأس في حجري  
غداً يأخذك الشاري      وما تدرين من يشري

أم محمود (لآمال):

تعالِي أيها السمرا      فإن الخير في السُمر  
أشعرُ ذاك آمالُ      أم الليلُ إذا يسري  
قضاك الله للوالي      أو الحاكم في مصرِ

آمال (في غضب):

دعيني مرأةَ السوءِ      دعيني بومةَ الشرِّ  
قضاك الله للجوع      وللسجنِ وللقبرِ

أم محمود (لمصطفى):

يا سيدي النحاس هذه صَبُعُ      فارجعُ بها لا تشرها ولا تبُعُ  
إلا إذا ساومنا فيها سَبُعُ

آمال (إلى صاحبتيها):

قوما إليها

شمس:

الفصل الأول

وأنت؟

آمال:

لا، لا أحب الفضولا  
عليّ ثوب جمال ما احتاج يوماً ذيو لا

شمس:

ما الخطب؟ ممّ غضبتُ آمالُ؟

زكية:

ما بأها ساخطةٌ ما بالُ

أم محمود:

غبيّةٌ ما عرّفتُ ما المالُ

مصطفى (همساً لشمس):

شمسُ

شمس:

يسرّجنيُّ

مصطفى:

انظري آمال ماذا غمّها  
ميلي إليها وخذي فيما يسرّي همّها

آمال:

بل الحقُّ معي وحدي      وأنتنَّ الغبيَّاتِ  
سوامنَّ نحننَّ أم نحننَّ      نفوسنَّ آدمياتنَّ

أم محمود (لزكية):

وأنت يا ضخمه يا بدينه      يا محملاً يخطرُ بالمدينه  
قومي إليّ أقبلي للزينه      رُزقت عمدة بلا قرينه  
ثروته في داره دفينه      يطلب منّا امرأة سمينه

مصطفى:

يا أمَّ محمودَ أرى      آمالَ جدِّ مُغضبَه  
هائجةً صاحبةً      ثائرةً مُقطَّبه  
في وجهها تكاد تبدو      نفسها المعذبَه

(مصطفى لآمال):

آمال بنتي استريحي      وقللي التفكيرِ  
لا تحلمي همَّ شيء      دعي لي التدبيرِ  
عساي أغنم ملگًا      أو أستفيد أميرا  
فتحكمين بمصر      وتنزلين القصورا  
مُلْكُ الجمالِ كبيرٌ      زيديه مُلگًا كبيرِا  
صوني جمالك هذا      عن أن يعيش فقيرا

آمال:

يا أبي ما تريد بي      أنت تلهو وتلعب

مَلَكَةٌ أو أَمِيرَةٌ      أَبْهَذَا أُلُقِّبُ  
حُلْمٌ ثَم يَنْقُضِي      وَأَمَانِي تَكْذِبُ  
كَيْفَ تَسْمُو إِلَى الْعَلَا      ابْنَةٌ بِأَعْهَا الْأُبُ

(ثم مستمرة):

أَبِي، تَاجِرٌ كَمَا شِئْتُ      وَكَيْفَ أُرِدْتُ فَاحْتَرَفِ  
وَلَكِنْ لَا تَرُمُ ثَمْنِي      وَلَا فِي هَذِهِ الْغُرْفِ  
فَبِئْسَ الْجِنْسُ فَاحْشَةُ      أَلَيْسَ كَذَلِكَ اعْتَرَفِ  
أَبِي، شَرَفٌ عَلَى فَقْرٍ      وَلَا فَقْرٌ إِلَى الشَّرَفِ

مصطفى (لنفسه):

يَا مَالُ مَا فِيكَ مِنْ سِحْرٍ وَمِنْ خَطَرٍ      لَقَدْ نَزَلْتُ بِنَا عَنْ رَتْبَةِ الْبِشْرِ  
تَاجِرَتْ بِالْجِنْسِ حَتَّى صَارَ مُحْتَقِرًا      عِنْدَ الشُّعُوبِ وَمَا جِنْسِي بِمُحْتَقِرِ  
نَهَبْتُ بِالشَّرْكَسِ الْأَسَادِ أَعْرَضَهُمْ      عَرَضَ الرِّعَاةِ صَغَارَ الشَّاءِ وَالْبَقْرِ  
لَوْلَاكَ مَا بَعْتُ أَطْفَالِي، فَمَا كَبِدِي      مِنْ الْحَدِيدِ وَلَا قَلْبِي مِنَ الْحَجْرِ

(مصطفى يُقْبَلُ عَلَى آمَالِ):

أَنْتَ مَا تَدْرِينَ شَيْئًا      طِفْلَةٌ آمَالُ أَنْتِ  
لَكَ فِي الدُّنْيَا تَهَيًّا      هَا هُنَا الدُّنْيَا وَمُلْكُ

آمال:

خَلِّ عَنْكَ الْمَلِكُ وَالْقَصْدُ      رَ وَلَا تَذْكَرْ عَلِيًّا  
إِنْ مَا تَصْنَعُ بِي قَدْ      بَغَّضَ الدُّنْيَا إِلَيَّا

(ثم لنفسها):

علي بك الكبير

رَبِّ جَنَّبَنِي شَبَابَ ذَا الْبَلَدِ  
لِي أُخَ فِي أَرْضِ مِصْرَ بَاعَهُ  
رَكِبَ الْآفَاقَ فَرَحًا مَا لَهُ  
فَجَعَّ الْقَرْيَةَ فِيهِ وَسَقَى  
لَسْتُ أَنْسَى عِبْرَاتِ إِثْرِهِ  
وَهُوَ يَوْمِي بِيَدٍ مِنْ رِقَةٍ  
رَبِّ مَا صَارَ إِلَى أَيْنَ انْتَهَى  
يُوسُفَ الْمَسْجُودَ فِي مِصْرَ لَهُ  
لَا يُصْبِنِي مِنْهُمْ رَبِّ أَحَدِ  
وَالِدِي لَمْ يَخْشَ مِنْ بَيْعِ الْوَلَدِ  
مَنْ جَنَاحَ الْأَبِّ وَالْأُمِّ سَنَدِ  
أُمُّهُ التُّكْلَ فَمَاتَتْ بِالْكَمْدِ  
قَدْ جَرَّتْ شَيْعَنَهُ حَتَّى ابْتَعَدَ  
وَأَبِي مِنْ غَضَبٍ يَوْمِي بِيَدِ  
أَهُوَ فِي الْخَيْلِ لَوَاءً أَمْ وَتَدَ  
أَمْ مِنَ الْجُوعِ لِيُوسُفَ سَجَدُ

زكية:

وأين بنو السلطان؟ لم لا نراهمو  
يرفُّ الشبابُ الغضُّ من طيلسانه  
أليس له ابن يغتدي ويروح  
وينفح ريحان الصبا ويفوح

شمس:

فلا خير في دارٍ إذا لم يطف بها  
ولا خير في روضٍ بغير بهارة  
نسيم شبابٍ أو شعاع جمال  
ولا خير في قاعٍ بغير غزال

مصطفى:

أجل له ابنُ

شمس:

ما اسمه؟

مصطفى:

محمد العالي النسب

شمس:

لعله أبو الذهب؟

زكية:

لله ما أحلى اللقب!  
ففيه رنة الذهب

مصطفى:

متبنّى الأمير والمتبنّو  
نعهتوه لنا فقالوا أميرٌ  
تغدق الألسن المديح عليه  
أرِيحي من صفوة الأمراء  
وتفيض الشفاه حسن الثناء  
نابغ الغرس عبقرِيّ البناء  
مَلِكٌ سابقٌ إلى كلِّ فضلٍ

(ثم مستمرًّا):

وَأنت يا أم محمود  
د ما الذي تعلمينا؟

أم محمود:

محمدٌ ليس برًّا  
بالأمس عَقَّ أباهُ  
واليوم يشهر حربًا  
على الأمير زَبونا  
وَأما أخوه  
ولا وفِيًّا أَمِينًا  
فكان شرًّا البِنينا

زكية:

كيف؟ من؟ هل له أخ؟

علي بك الكبير

أم محمود:

أجل، وهو أيضًا لم يلد له أبوه

زكية:

إذن فعليُّ والد الناس كلهم وكل شباب الضفتين بنوه  
وكيف الفتى يا أم محمود؟ ما اسمه؟

أم محمود:

غلام وضيءُ المفرقين جواد  
رأيتته مثلي تذكرن ساعة رأيناه

شمس:

من؟ ما اسم الأمير؟

أم محمود:

مرادُ

(أم محمود لآمال)

هناك آمال ابنتي هناك

آمال:

ما ذاك يا أم انكري ما ذاك؟

أم محمود:

## الفصل الأول

الحظ يا بنتاه قد أعطاك  
عُشقت عشقًا سوف يُروى في السَّيْرُ  
عشقٌ له في مصرَ والشرقَ حَطَرُ  
وعاشق عالي السناء كالقمرُ

آمال:

يا أم محمود هُديت.. ما الخبرُ؟

أم محمود:

لقيتُ مرادًا أمس

آمال:

ماذا يهمني؟

أم محمود:

عجيب! ألا يعني النساءَ مُرادُ؟!  
نبيل كأبناء الملوك جواد  
عليُّ فبين السَّيدين ودا  
إليه أمورٌ في غد وبلاد  
على مثله ما انضمَّ قطُّ فؤاد  
فتى علمٌ في مصر، في الشرق كله  
يُحبُّ عليًّا جهده ويُحبه  
كأنني به نال الولاية وانتهدت  
يُحبُّك يا آمالُ حبًّا مُبرِّحًا

زكية:

عرفتُه

آمال:

علي بك الكبير

ومن؟

زكية:

ف\_\_\_\_\_ أَمَسَ إِلَى السُّوقِ حَضْرًا  
ذَاكَ الْخَفِيفُ كَالْقَنَاةِ وَالْوَضِيءُ كَالْقَمَرِ  
أَتَى لَنَا أَمَسٌ فَمَا اخْتَصَّ سِوَاكَ بِالنَّظَرِ

آمال:

عَرَفْتُهُ ذَاكَ الْوَقَاحُ فِي دَعَابَةِ الْهَنْدِ  
ذَاكَ الَّذِي قَلَّبْنَا أَمَسَ كَتَقْلِيبِ الْحُصْرِ

شمس:

وَكُنْتَ أَنْتِ قَبْلَةَ الْلَحْظِ وَمَوْضِعِ الْفِكْرِ

أم محمود:

وَأَنْتِ كُنْتِ وَزَكِيَّةَ الْحَصِيرِ الْمُحْتَقِرِ

آمال:

أُوذَاكَ الَّذِي تَقُولِينَ يَهُوَانِي

أم محمود:

أَجَلٌ وَهُوَ أَرْفَعُ النَّاسَ قَدْرًا  
هُسِّيْ صِهٍ هُسَّ أَنْظَرَا هَا هُوَ ذَا قَدْ حَضَرَا

(يدخل مراد بك)

مراد بك (عند الباب لنفسه):

ويح لي رب ما أرى أمم محمد  
هي في القصر كيف جاءت إليه  
أتراها قد حازها لعلي  
كيف هل بعد في فؤاد علي  
رب ما لي أهابها كلما قمت  
وأنا الذئب لم تسلط على قلبي  
وود إلهي وهذه آمال  
كيف وافاه مصطفى المحتال  
جبر الجاه واحتواها المال  
موضع يحتوي عليه الجمال  
وما لي يردني الإجلال  
مهة ولم يساطر غزال

(ثم لأم محمود ومن معها):

سلام أم محمود سلام يا بنياتي

أم محمود:

سلام لك مولاي

زكية:

وعلوي التحيات

مراد بك (ويشير إلى آمال):

أم محمود ما لها ما لتلك المحببة

أم محمود:

ما لها سيدي

مراد بك:

علي بك الكبير

انظري كيف تبدو مقطبه  
لقيتني فلم تقم بلقائي مرحبه  
ما لها اليوم مثل عهـ دي بها أمس مغضبه

أم محمود:

سيدي قد ظلمتها إن ابنتي مهدبه  
غير أني وجدتُها مُد بدا الصبح مُتعبه

شمس:

معذرة يا سيدي لأختي المعذبه  
نحنُ النهار كله كالسبع المقلبه

مراد بك:

مصطفى

مصطفى (في ناحية وحده):

سيدي

(لنفسه):

أهـذا مراد؟ وَيَحَهُ ما أضله فيم جاء

مراد بك:

مصطفى هل نسيت أنا التقينا عند سوق الرقيق أمس مساءً

مصطفى:

الفصل الأول

سيدي ما نسيت واليوم نستا نف في حجرة الأمير اللقاء

مراد بك:

والتي اخترت من طبائك

مصطفى:

ترجيها إلى أن يرى الأمير الأطباء

مراد بك:

أتري ما تزال تأبى

مصطفى:

أجل

مراد بك:

ويحك هل يملك الرقيق الإباء

آمال:

سيدي من عنيت؟ قل لي بمن عرضت؟

مراد بك:

أعني المليحة الحساء

آمال:

علي بك الكبير

سيدي إننا حرائرُ ما زلنا

مراد بك:

ولكن غداً تصرن إماءً

آمال:

وغدُ سيدي عليه غطاءٌ أترى عن غد كَشَفَتَ الغطاءَ

مراد بك:

قُمُ مصطفى، هذه الحسناء تُعجِبُنِي أليس يكفيك فيها ألف دينار

مصطفى:

ألف! قبلتُ

مراد بك:

إذن تَأْتِيكَ كاملة فاخرج ببنتك واحملها إلى داري

آمال:

أبي أبي أنت تمضي بي وتحملني كالشاة! هذا لعمرى أعظم العار

مصطفى:

آمال

آمال:

## الفصل الأول

قف أنت عبد المال يا أبتني      تلقى البريء لأجل المال في النار  
لا سيدي، لا أبي، لا تذكرنا ثمنًا      فلست مخلوقة للبائع الشاري

مصطفى (لنفسه):

رباه أعظم من وجدي ومن شفقي      على ابنتي اليوم إعجابي وإكباري  
وأنت تعلم والأفعال شاهدة      أن ابنتي حرّة من نسل أحرار  
يا ألفت سحرًا ويا مال امض من سبلي      تقطعت منك أسبابي وأوطاري

ثم لآمال):

آمال هيّ انكري لي كيف أدفعه

ثم لنفسه):

ماذا أقولُ فإنني لستُ بالداري

آمال:

أبي أما نحن في دار الأمير (علي)      إنني لجارة حرّ مانع الجار  
لا أبرح القصر إلا عن مشيئته      فحكمه هو فيّ النافذ الجاري

مراد بك:

ويح لي قد رددت أقبح ردّ      وأبت أن تجيبني الحسناء

(مصطفى):

سنرى من يفوز بالبنت يا وغد

(لآمال):

ومن يقتنيك يا حمقاء

(ويخرج مراد بك)

آمال (لنفسها):

مذُ تلاقينا اشتغل؟	ما بال قلبي بمراد
لا لا، فما لي والرجل	لعلني أحببتُه
هذا لعمرى الخبل	عساي قد همتُ به
في كل ساعة مثل	خياله في فكرتي
بين الجوانح اشتعل	ما لي أحسُّ لاعجاً
أول إنسان دخل	إن فُتح الباب يُرى
دته بجانبه أكل	أو جيء بالزاد وجـ
الماء فعلً ونهلاً	وإن شربتُ حَصَرَ
على مشاعري السُّبل	قد أخذتُ صورتهُ
وأينما حللتُ حل	وحيثُ سرتُ طاف بي

أم محمود (تنظر إلى الباب وتقول):

أرى الأبواب قد فتحت وأسمع وقع أقدام

مصطفى:

عليّ جاء قمن له بإجلال وإعظام

(يدخل علي بك وفي حاشيته رزق الوكيل، الأغا مرجان، بعض  
الخدم)

علي بك:

الفصل الأول

أضعنا نهارك يا مصطفى      أطلنا انتظارك لا عن جفا

مصطفى:

بباب الأمير وليّ النعم      يطيبُ الوقوفُ لأوفى الخدم

علي بك (همساً لمصطفى):

يا مصطفى قد بعثني      من سنوات ولدا

مصطفى:

أجل صبي كان من      أنكى الصغار محتدا

علي بك:

ما ارتبت فيه ساعة      أن سيكون سيدا

مصطفى:

عاش أبوه لا أرى      أباه إلا أسدا

علي بك:

ولكنه لم يدُر في البلاد      ولم يعرف الناس حتى فسد  
فسلّ الحسامَ وهزّ القناة      وأصبح عزيرل هذا البلد

مصطفى:

ذاك ذئبٌ لم أبغهُ      حنشٌ غيري باعه  
بئس ما باعوك يا مؤ      لاي يا شؤم البضاعه

علي بك الكبير

علي بك:

وأين البنيات؟

مصطفى:

ها هُنَّ قُـمُـنَ وَقَارًا لِمَوْلَايَ فِي الْمَجْلِسِ

علي بك:

تخير الحسن قبلي فكيف كيف اختياري

(علي بك لرزق):

يا رزق ما أنت راءٍ

رزق الوكيل:

كذا تكون الجواري

أم محمود:

بل قل ثلاث شمويسٍ تنزلت في نهار

علي بك (ممازحًا):

من أنتِ يا شرَّ وجهٍ ومن أحلك داري؟

أم محمود:

أنا يا مولاي حُسن الماشطه أنا في أمر البنات الواسطه

(ثم لنفسها):

آه من لي بحياةٍ ثانيه ليتني أرجع يوماً غانيه  
ليتني يا ليتني يا ليتني آه لو ينفع قولي: ليتني!

(أم محمود تأخذ يد شمس وتأتي بها):

فهذي كاسمها شمس ولكن حُسْنُهَا أَحْسَنُ

علي بك:

تعالى الله ما أبهى تعالى الله ما أفتن

(ثم ترجع شمس وتأتي بزكية):

أم محمود:

وهذه زكية

علي بك (معرضاً عنها ومشيراً إلى آمال):

وهذه الحورية؟

أم محمود:

مهاة فداها الغيد من شركسية  
إذا برزت ودَّ النهارُ قميصَها  
وإن نهضت للمشي ودَّ قوامَها  
لها مَبَسُّمٌ عاشَ الخليجُ لأهله  
لها سيرة عند الملوك تُنارُ  
يُغيرُ به شمس الضحى فتغارُ  
نساءً طوالَ حولها وقصارُ  
وعاشت لآل في الخليج صغارُ

علي بك الكبير

علي بك:

ما اسم هذي الفتاة؟

أم محمود:

آمالُ الحسنة

علي بك (لآمال):

آمال كيف ألفتِ قصري

آمال:

جنة الله يا أمير على الأرض ولم لا ألتست سلطان مصر

علي بك:

وهذا الوشي والديبا  
وهاتيك المصابيح  
وهذا الخشبُ المصنوع  
لقد طفتِ على فار  
وأدخلتِ قصور العز  
فهل أبصرت ما يشبه  
ج ما موقعه منك؟  
من البلور والسلك  
عُ بالصندل والمسك  
س والقوقاز والترك  
والثروة والملك  
هذا الصنع أو يحكي؟

(ثم مستمرًا):

وكل ما أبصرت في  
فليس يعلو الصانع  
قصري من صنع البلد  
المصري في الذوق أحد

آمال:

الفصل الأول

لا عَجَبٌ مولايَ يا طالما      قد بلغَ الفنُّ بمصر الكمال

علي بك:

لكن أرى القوقاز أعلى يدًا      مَنْ غيره يصنَعُ هذا الجمال؟

آمال:

سيدي

مصطفى (همسًا):

حاذري ابنتي قدّري المؤ      قفَ لا يخطر العُقوقُ ببالك

آمال:

لا أبي، خلّني أبحُ أشكُ بثِّي      خذَل الصبرُ قلبي المتمالك

(آمال لعلي بك)

سيدي

علي بك:

ما أرى؟ دموع لآلٍ      زهبت في الخدود شتى المسالك  
مِمَّ تشكين يا ابنتي ما وراء الدمع؟

آمال:

لا شيء

علي بك:

بيّني ما هنالك!

آمال:

هذه السوق لم تَلِقْ بجلالك  
ض ولم يرض في السماء المالك

سيدي، غيرُ شأننا بك أولى  
نُشتري النفسُ أو تُباع على الأر

مصطفى:

وانظري الحال وافكري بمآك  
ئس منها

قلّلي الهمَّ يا ابنتي والتَّشكي  
هذه السوقُ نعمَةُ الوطن البا

علي بك:

ونحنُ نعلم ذلك  
ل، حالي يا بنتُ من مثل حالك  
دولاً من ورائها وممالك  
للممالك أو سبيلَ المهالك

أنا أيضاً مررت بالسوق يا أما  
قد وقفنا بهذه السوق نبغي  
وقديماً كانت سبيلَ المعالي

(علي بك مستمراً)

وكل كبير النفس سوف يسود  
وهذا إباء ما عليه مزيد  
ملوكُ على عرش الكنانة صيد  
كما بيع السودان بمصر عبيد  
ومن قال عند البيع لست أريد

لك الله يا آمال، أنت كبيرة  
فداؤك نفسي هذه نفس حرة  
أتيت بما لم يأت فيما مضى لهم  
شرونا وباعونا صغاراً وفتية  
فما كان منّا من رأى الرُّقِّ سُبَّةً

(ثم مستمراً):

## الفصل الأول

الخطبُ غيرُ عظيم لا تحزني يا فتاة  
وكلُّ جرح يُداوى إن عالجتَه الأساةُ

آمال:

مولاي قالوا رُزقتَ نفساً فضائلُ الصالحينَ فيها  
بأيِّ دين تحوزُ رقيّ وتشتري البنت من أبيها

علي بك:

أبوك؟!!

آمال:

أجل والدي

علي بك:

مصطفى أأنت أبوها؟

مصطفى:

أجل سيدي

علي بك:

فماذا ترى؟

مصطفى:

في يديك الفتاة تصرّف لقد خرجت من يدي

علي بك الكبير

علي بك:

دع البيع يا مصطفى والشراء وزوج فتاتك أو فارد

مصطفى:

بمن؟

علي بك:

بي

مصطفى:

إلهي!

علي بك:

أجل بي أنا

مصطفى:

سمعت فتاتي اشكريه احمدي

آمال:

علام أجربيتك بعد؟ لا سأعلم ما صاحبي في غد

علي بك:

لم تقبلي الرق منذ حين يا لك من حرة نبيله

الفصل الأول

والآن تخشِين من زواج تمشينَ في ظلِّه ذليلَه  
أمال

آمال:

مولاي

علي بك:

هاك قصري سوسيه بالنبل والفضيله

أم محمود:

تحية للملكه من أمة في المملكة

مصطفى:

أقبلُ سترَ مولاتي

آمال:

أبي! أستغفر الله!

علي بك:

وأنت الملكة اليومَ وحليها حُلُولَ الشمـ  
مُري وأنها على الدار وكوني قُفَلَ أموالـ  
س في أرجاء آذار وأذخاري وأسارـ  
ولا تشغلك أسفاري ولا يهْمُكَ تَرَحَالـ  
خوف الأسد الضاري فللمغنم والصيد

علي بك الكبير

وللرفعة والمجد سفار القمر الساري

آمال:

مولاي هاتها يداً  
هات أضع في راحتيه  
قد طوّقتني خير يد  
ك قبلاً بلا عدد

مصطفى:

يا للجلال والخطر  
من البشير بالخبر  
ويا لتوفيق القدر  
إلى البيوت والأسر  
حظاً لعمرى قد كمل  
وكلاً دارع نزل  
فمن يُبلِّغ الجبل  
على الشعاب والقلل  
أنا ظفرنا بالأمل

أم محمود:

قمن بنات الشركس  
زدن سرور المجلس  
للهو والتأنس  
برقصن الحمس

شمس:

عشاق ماذا أحرک  
قما لآعب الغيد نرك  
لم لم تجرد خنجرك  
كيف تخوض المعترك

عشاق:

غداً يُعقد للوالي  
جبال الشركس اختالي  
على الحسناء آمال  
بهذا النسب العالي  
هلموا الفرخ الأكبر  
هلموا رقصة الخنجر

## الفصل الأول

غداً يملك الوادي      من الحاضر والبادي  
فمن طالب أفراح      ومن شاهد أعياد  
هلموا الفرحة الأكبر      هلموا رقصة الخنجر  
غداً يبتهجّ العصرُ      وتُمسي فرحاً مصرُ  
وتُجلي الشمسُ والبدْرُ      ويزهو بهما القصرُ  
هلموا الفرحة الأكبر      هلموا رقصة الخنجر

(هتاف خارج القصر):

لا زلت منصور القنا      يا أسد المعارك  
أطعمتنا سقيتنا      يا ربّ زد وبارك

علي بك:

اسمعوا

رزق:

ضجّة

الأغا مرجان:

أجل وابتهال      ورجالٌ بسيدي يهتفونا

علي بك:

من تُرى الهاتفونَ رزقُ ويا مر      جانُ أخرج فانظر من الصاخبونا

الأغا:

علي بك الكبير

عادةً تلك كل يوم خميس عندنا ألف جائع يطعمونا

علي بك:

امض فاجعل في كفِّ كلِّ فقيرٍ ذهباً يُطعمونَ منه البنينا  
نفحةً من أميرة النيل مولاتك

آمال:

بل منك سيِّد المحسنينا

رزق:

مولاي

علي بك:

من؟ أو رزقُ ذا؟

رزق:

كم ذا تجودُ وكم تَهَبُ  
بِنداكُ كالجرِّ الحَرِبِ  
قد كان من ذهبِ ذَهَبِ  
والنصفِ راحَ به رَجَبِ  
إن الخزانة أضححتُ  
الفضَّةُ انفضَّتْ وما  
رمضان راحَ بنصفه

علي بك:

أجل نحنُ أطعمنا الفقير ولم يكنْ  
ونحن سقيناه ابن السبيل ولم يكنْ  
له في قصور المُتَرَفِينِ طعام  
يُبَلُّ له فوق الطريق أوامُ

الفصل الأول

ونحنُ حَضَنًا اليُتَمَّ نَمَسَحُ دَمْعَهُ      وآوَاهُ منا محسنونَ كرامُ  
ترى الزادَ مَبْذولًا وفي كلِّ ساحةٍ      يتامى قعودُ حَوْلَهُ وقيامُ  
ونبني فركنًا للثقافة والحجا      يُشَادُ وركنًا للصلاة يُقامُ  
ودارًا يُواسى البؤسُ فيها ومنزلُ      تُداوى جراحاتُ به وسقامُ  
ونرفُقُ بالعجماءِ تأسو جراحها      تُقَاتُ على ساحاتنا وتنامُ

(علي بك للأغا مرجان وهو بالباب)

مرجان، خيرُ

مرجان:

سيدي (بشيرُ)

علي بك:

أدخله ليسَ دونه ستور

(لأمال):

أميرتي لا تُراعي      بشيرُ من أولادي

آمال (لأم محمود):

إن مولايَ شغله      بالمهمات قد كُتِرُ  
أم محمود

أم محمود:

علي بك الكبير

مُلْكُتِي ما تُرِيدِينَ ما الْخَبْرُ

آمال:

شمس

شمس:

لبيك ملكتي دونك الشمس والقمر

آمال (لزكية):

أختُ

زكية:

أفديك ملكتي زاد في شأنك القدر

آمال:

جُلْنَ فِي الْقَصْرِ جَوْلَةً      وَتَنْقَلْنَ فِي الْحُجْرِ  
نَحْنُ فِي الْوُدِّ وَالصَّفَا      ءِ كَأَمْسِ الَّذِي غَبَرَ  
عَشْنَ ضَيْفًا عَلِيًّا فِي الْـ      قَصْرٍ مَا امْتَدَّ بِي الْعُمُرُ

(يخرجن مع مصطفى وعشاق، ويدخل بشير بك فنتحي آمال  
ناحية من الحجرة تشرف من نافذة فيها على ساحة الدار)

علي بك:

ماذا وراءك يا بشير؟

بشير بك:

الفصل الأول

شأنٌ سأعرضه خطيرٌ

علي بك:

قل

بشير بك:

لا أقولُ لأنه شأنٌ يُسرُّ إلى الأمير

(علي بك يذهب ببشير بك إلى ناحية أخرى من الحجرة):

علي بك:

عجل وكاشفني بما بَلَغَتْ من الجدِّ الأمور  
والسببُ

بشير بك:

مَنْ؟

علي بك:

أبو الذهب

بشير بك:

يَأْخُذُ لِلشَّرِّ الأَهْبُ  
هـ حاز الأقاليم إليـ  
وَتَأَلَّفَ العَرَبَ والعُزُّ في ركابه  
والشعبُ جذلاًن طَرَبُ  
جُنَّ فعجل الطلب فلنرتحل فربما

علي بك:

أرى الأزمّة اشتدت وأبطأ انفراجها

بشير بك:

فصبرًا عساها آذنت بذهاب

علي بك:

ولا نلّل الصبرُ الجميلُ مُصابي  
ولكن بأهلي نكبتني وعذابي  
ورُبِّي في حجري وشبّ ببابي  
فلما حواها في يديه سَطَا بي  
فصَيَّرَ هدمي شُغْلَهُ وخرابي  
بشِيرُ امض هَيْئُ للرحيلِ رِكابِي  
وهذا عدوي لا يملُّ طلابي  
فهَيْئُ جِيادِي وادع خَيْرَ صحابي

صَبَرْتُ طويلاً يا بشيرُ فما جلا  
ولو أن رُزئي بالغريب احتملتهُ  
يُطارِدني في الأرض من دَبِّ في يدي  
ومن طلب الدنيا ببأسي وسطوتي  
ومَنْ عشتُ أبنيه وأعمُرُ ركنه  
لقد أن أن أسعى وأن أدفع الأذى  
إلى كم قعودي عن عدوي وكيده  
سأخرج نحو الشام في فلّ شيعتي

بشير بك:

وماذا وراء الشام؟

علي بك:

أُسُدُّ ضَرَاغِمُ أَلْفُهْمُو حولي لِنُصْرَةِ غابي  
يزيد بهم جيشي وتقوى عشيرتي ويشد ظفري في القتال ونابي  
الآن فرغنا

بشير بك:

أجل سيدي أأمضي؟

علي بك:

بل ابقِ انتظرْ يا بشيرُ  
بقرب الأميرةِ ماذا يَضيُرُ  
إذا أنا قَصَّيْتُ هذا المساء

بشير بك:

وليلَ غدٍ والذي بَعَدَهُ  
ونحنُ فَنَمضي فَنأتي العريش  
نُريخُ الجواسيس طوْلَ الطريق  
وتدركنا أنت مستمهلًا  
وإن شئتَ فابقِ الليالي الكثير  
ونبقى بها بانتظار الأمير  
ونهربُ من مُنكرٍ أو نكير  
كثير التواري قليل الظهور

علي بك:

بل امض بنا سر بنا سر بنا  
فما جَلَبَ الخيرَ مثلُ البكور

(لآمال):

لا تجزعي أميرتي  
لقد دعت حادثة  
كيفَ زواجٍ وسفرٍ  
أغيب شهرًا واحدًا  
لا بد لي من السفر  
من الحوادث الكُبر  
مُزاحةً من القَدَر  
فانتظري

آمال:

سأنتظر

علي بك:

علي بك الكبير

ما أنتِ إلا مَلَكُ      نَهَى بِقَصْرِي وَأَمْر  
في نِمةِ الله      يا رَبَّةَ القِصر

آمال:

وأنتَ مولايَ      شُبِّعتَ بالنصر

علي بك (لرزق):

سأصعد يا رزقُ نحوَ الصعيد لشغل

رزق:

ولمَّ لا صعودَ القمَرُ

(ثم لنفسه):

صُعودَ الدخانِ إلى ذروة      إذا صارَ فيها أمحى واندثَرُ

علي بك:

وما في الخزانة أو في القصور      بأمر الأميرة فيه ائتمر

(لآمال):

هكذا مصر كل يوم شئون      شغلت مصر بالشئون الناسا  
وكان البلاد خيلُ جهاد      كلَّ يوم تُبَدِّلُ السُّواسا

رزق الوكيل (لنفسه):

لا رحلةً، لا سَفَرٌ  
وما الصعيد يقصدون  
أما أنا فقد ملأت  
إذا الزمان بعليٍّ  
يجعلني محمد

هذا لعمرَي الهَرَبِ  
بل إلى الشام الطلب  
اليد من أبي الذهب  
بعد حين انقلَبُ  
على خزائن الذهب

### علي بك:

سلام على قصر الإمارة والغنى  
ووالله ما فارقت مغناك عن قلبي  
وأعلمُ أنني عنك لا بدُّ زائلٌ  
ولكن أُمورٌ قد جَرَّتْ وحوادثٌ  
فخالفتني من كان عند إشارتي  
وعقُّ الذي ربيت في حجر نعمتي  
تألف أصحابي وألب شيعتي  
لقد جئتُ بآبن ليس لي فكأنما  
تفرَّق عني الناسُ إلا بطانتي  
سأمضي وما عندي لهم إن تركتهم  
وقد زعمَ الناسُ الغنى في خزانتي  
وأقسِمُ لم تُحرز يميني درهمًا  
أسير أجلُ أمضي نعمَ فعسى السرى  
فما الدهر إلا حالةٌ ثم ضدها  
وتلك التي أحببتُ أول وهلةٍ  
أعود إليها في المواقبِ ظافرًا  
وأرجعُ حُرًّا تحتي النيلُ كله

وأيوان سلطاني ودست جلالي  
ولا خطرت سلوى الأمور ببالي  
وأنتك مني لا محالة خال  
بنقله دنيا أو تبدل حال  
يصول بجاهي أو يعيش بمالي  
ووطأتُ أكنافي له وظلالي  
عليٍّ وأغرى بالخروج رجالي  
أتيتُ بأفعى من سحيق تلال  
ولم يبقَ حولي اليومَ غيرُ عيالي  
سوى قوتِ أيامٍ وخبز ليالٍ  
أتى من حرام تارةً وحلالٍ  
من المالِ إلا أنفقته شمالي  
تروحُ بنجمي أو تجي بهلالي  
وإلا ليالٍ بعدهنَّ ليالٍ  
وأشركتُ في مُلكٍ وشيكِ زوالٍ  
وفرقي بالنصر المؤزرِ حالي  
وما من بني عثمانَ فوقَي وال

(يخرج علي بك ومعه بشير بك ورزق الوكيل ويبقى مرجان بالباب)

(تسمع ضجة وصرخة من امرأة أمام القصر تقول)

علي بك الكبير

يا رَبَّةَ القصر لا مَسَّكَ الضُّرُّ  
هل عندكم غوث هل عندكم نصرُ  
لحررةٍ في وادِّ ليس به حُرُّ

آمال:

مرجان ويحي هذه صيحة وامرأةً صارخةً باكيه  
مرجان انظر

مرجان:

هيَ ذي أقبلت مُعولَّةً صاحبةً شاكِيه

(تدخل امرأة مقطوعة الأذن وصارخة)

آمال:

ماذا دهى يا خاله أنتِ بشرٌ حاله  
ذا الدمُّ من أساله؟

المرأة:

جنودٌ وراء كبيرٍ لهم  
أتوا دارنا فمضى نصفهم  
ومال على أذني بعضهم  
من الدين قد جرّدوا والخُلق  
أزال العفاف ونصفُ سرق  
بسكينه طمعاً في الحلق

(آمال تدفع إلى مرجان صرة):

مرجان خذ ناول

مرجان:

## الفصل الأول

### تعالِي خذي

آمال:

لا بأس يا خالَةَ لا بأسُ  
انتظري عودَ عليَّ غدًا ففي غد يرتدعُ الناسُ

(المرأة تأخذ الصرة وتصيح مولولة)

وأذني أين ألقاها مضت أها لها آها  
ويا من عندَه أذني أما يكفيك قرطاهها

(تسمع ضجة ثم تدخل فتاة مذعورة)

الفتاة:

سيدتي

آمال:

وأنت أيضًا

الفتاة:

رحمةً سيدتي

آمال:

ما تشكين؟ ما دهى؟

الفتاة:

علي بك الكبير

الآن يا سيدتي  
يُدَبِّحُونَ إِخْوَتِي فِي سَاحَةِ الرُّمَيْلَةِ

آمال:

ويح لهم ماذا جنوا ويح لهم

الفتاة:

لا شيء

آمال:

لا لا بُدَّ من داعٍ دَعَا  
النفس لا تُقْتَلُ يا أختُ سُدِّي

الفتاة:

صدقت يا أميرتي إلا هنا  
لا ينزل الرأس بمصرَ جسداً إلا نزول المرء في بيت الكرا

آمال:

نَدَّكَرِي قُولِي لِي الْحَقُّ اصْدُقِي

الفتاة (في حياء):

قد سَرَقَ الإخوة جحش الكتخدا

آمال:

الفصل الأول

سُرَّ امضَ مَرَجَانُ مَعَ الْفَتَاةِ وَاشْفَعَ لَدَى الْحَاكِمِ لِلجِنَاةِ

(ينصرف مرجان مع الفتاة)

(يدخل أغا آخر ويقول):

سيدتي

آمال:

وَأَنْتَ مَا عِنْدَكَ قُلُّ

الأغا:

ابنُ الأَمِيرِ سَيِّدِي مَرَادُ

آمال:

ابنُ الأَمِيرِ! هِيَ عَجَلٌ جِيءَ بِهِ أَكُلُّهُمْ لِسَيِّدِي أَوْلَادٍ  
أَدْخَلَ مَرَادًا وَاتَّتَنِي بِمُصْطَفَى

(آمال لنفسها)

أَخَافُ إِنْ قَلْتُ أَبِي أَنْ يَعْرِفَا

(يظهر مراد بك)

(آمال لنفسها)

وَيُحْيِي وَوَيْحٌ لِعَلِّيَّ مَا أَرَى إِنْ أَرَى الْعَدْرَ عَلَى هَذَا الْفَتَى

مراد بك:

تحيةً سيدتي أتذكرين مَنْ أنا؟

آمال:

كل الذي أعرفه ابن الأمير ها هنا

مراد بك:

أميرتي قد خدعوك ما عليّ لي أبا  
ما أنا إلا صاحبٌ قدّمه وقرباً

آمال:

يا عجباً!

مراد بك:

ومم يا مالكة القلب العجبُ  
وكلُّ ما في الأمر أن ليس عليّ لي بأبٍ  
وليس ما يمنعني من أن أحبّ وأحبّ

آمال:

تُحبُّ أو تُحبُّ قو لٌ لا يليقُ بالأدبِ  
نسيتَ للقصرِ ولي ولأبيك ما وجب

مراد بك:

قد عرفناك يا أميرتي إننا أمس التقينا في معرض الجلاب

(مراد مستمراً)

ذهبت لأشربي فاشتراني وباعني      غزالٌ بسهم المقلتين رمانى  
هَمَمْتُ ولكن صاحبُ الصيدِ رَدَّنِي      وصيّرَ سلطانَ البلادِ مكاني  
ولم يدر أنني فوق شأنِ محمدٍ      وشأنِ عليٍّ في الرياسةِ شاني  
إذا ما حوتني كِفَّةُ رجح الذي      رمى بي في ميزانه فحواني  
وجاء عليٌّ فاشترى

آمال:

لست صادقاً      بنى بي أمير للمكارم بان

مراد بك:

وطار عن الوادي  
وماذا يعيبُهُ      ألم تُخَلِّقَ العِقبانَ للطيران

(مراد بك يقترب منها)

آمال لو تعرفينا      آمال لو تعطينا

مصطفى (بالباب وقد سمع كلامهما):

(لنفسه):

أرى شبحَ الجريمةِ حامٍ حولي      كما ناشَ الغريمَ الأفعوانُ

آمال (مراد بك):



الفصل الأول

لقد بارز الصبيان بالسيف ناشئاً  
إلهي أرى أشياءً ثمَّ مهولَةً  
فصادفَ سيفاً حَدشَ الرأسَ صارما  
إلهي لا تجعله حقًّا ومُرُّ أُنْ  
وأشفقُ فيها من عقابك صارما  
بما أنا راءٍ من عذابك حالما  
وحاشاك لم تظلم ولم تكُ ظالما  
فكنت هفوتي عن غوايَةٍ  
فتبَّتُ فكن لي فيهما اليومَ راحما

آمال (لمصطفى):

وا أبتا!

مصطفى:

ليبيك آملُ

آمال:

إليَّ يا أبي

مصطفى:

أحبُّ بهذا الصوتَ أحبُّ بالنداءِ أحبُّ

آمال:

أبي

مصطفى:

ابنتي أنتِ هنا؟

آمال:

علي بك الكبير

تعالِ قَفِ بجانبِي

مصطفى:

لا بأس يا ابنتي عليـ ك دونَ ناديك دمي

آمال:

أبي لقد ديسَ العرينُ في غيابِ الضيغَم

مصطفى:

مَنْ في مقاصير الأمير؟ ما أرى من الفتى؟

آمال:

ذئبٌ بشكل آدم للصيدِ في الغابِ أتى

مصطفى (مهمماً):

خنجري أين خنجري اليومَ مني  
فعسى أن يُريحني من صبيِّ  
يغسل العارَ والدينَةَ عني  
هو يطغى بسنه سأريه  
عابثٌ، أو يريحه هو مني  
أنني الليث ساعدي هو سني

آمال:

أبتي ما تقول؟ ماذا تلمست؟

مصطفى:

سلاحِي

آمال:

لا لا أبي لا ترعني

(آمال لمراد بك)

بربك إلا حقنت الدماء

مراد بك:

دمائي أنا أم دماء اللعين؟

مصطفى:

أتلعنني يا أضلّ الشباب أتلعنني يا أعقّ البنين

مراد بك:

ولم لا وما لك من حُرمةٍ

مصطفى:

ستعلم ما حرمتي بعد حين  
سأقلع عينًا سمت للباة وأقطع رجلًا مشّت في العرين

آمال:

كفى هوسًا أيُّ هذا الأمير

مراد بك:

علي بك الكبير

أبي هَوَسْ مُلْكِي!

آمال:

بل جنون  
كفى جرأة

مراد بك:

وعلامَ اجترأت؟

آمال:

على امرأةٍ تحفظ الغائبين

مصطفى:

مراد لك الويل من سادرٍ وقاح اللسان وقاح الجبين  
هتكتَ على الحزن محرابه ودُستَ على عبرات الحزين  
ولم تحتشم في خطاب الشيوخ ولم ترج فيهم وقار السنين

(مصطفى لنفسه وهو يبحث عن خنجره)

ربُّ ضلِّلْ يدي وحطِّمْ سلاحي ربِّ لا تَقْضِ أُنْني أَقتل ابني

مراد بك:

سيسبق سيفي خنجر الشيخ

مصطفى:

بِسَيْفِكَ مِنْ مَاضِي الْحَدِيدِ يَمَانِي  
أَرْحُ مِنْ عَذَابِ الْحَادِثَاتِ جَنَانِي

مَرْحَبًا  
فَهَاتِ مَرَادُ السَّيْفِ هَاتِ مَنِيَّتِي

مراد بك (وقد شهر سيفه):

وَمَا بِالْ سَيْفِي إِذْ هَمَمْتُ عَصَانِي  
قَدْ انْفَجَرَتْ مِنْ رَحْمَةٍ وَحْنَانِ  
وَعَشْ نَاعِمًا فِي غِبْطَةٍ وَأَمَانِ

إِلَهِي مَا لِي قَدْ غُلِبْتُ عَلَى يَدِي  
وَمَا بِالْ نَفْسِي بَعْدَ طَوْلِ جَمُودِهَا  
عَفَوْتُ فَمِلْ يَا شَيْخُ مِلْ عَنِّي انْطَلِقْ

مصطفى:

أَمِيرِي ذَا رَأْسِي فَخِذْهُ بِضَرْبَةٍ

(يُخْرِجُ مَرَادَ بَكَ)

عَسَانِي أَرَى هَذِهِ الضَّمِيرَ عَسَانِي

(مصطفى لنفسه، ويتبع مراد بك)

أَأَنْبِيَهُ؟ لِمَ لَا؟ لَا. بَلْ اسْتَأْنِ مِصْطَفَى

أَأَذْكَرُ لَابْنِي كَيْفَ خِصَّةُ شَانِي

آمال (لنفسها):

وَيَحَ لِي وَيَحَ قَدْ قَسَوْتُ عَلَيْهِ  
مَا الَّذِي اسْتَوْجَبَ الْأَمِيرَ وَمَا  
وَيَحَ قَلْبِي يَحِبُّهُ كَذَبُ الْقَلْبِ  
هُوَ مَسْتَهْتَرٌ عَلَيَّ حِجْرَاتِي  
لَا. بَلِ الْقَلْبُ شُغِلَهُ بِمَرَادِ  
رَبِّ مَا لِي أَحْسُ نَحْوَ مَرَادِ

وَتَجَاوَزْتُ فِي الْعَقُوبَةِ حَدِّي  
أَذْنَبَ حَتَّى رَدَّتْهُ شَرٌّ رَدٌّ  
وَبَعْدًا لِحَبِّهِ أَلْفَ بُعْدِ  
وَتَنَاسَى أَمَانَةَ الزَّوْجِ عِنْدِي  
هُوَ شَغَلِي مِنَ الْحَيَاةِ وَقَصْدِي  
شَفَقًا زَائِدًا وَلَوْعَةً وَجِدِ

جرى في دمي ولحمي وجلدي  
 كيف تجزي القلوب وداً بودّ  
 بودّي لو تستفيق بودّي  
 وسدى أسترّد عقلي ورشدي  
 وفي سلوة الهوى غير مُجد  
 وما لي أغالب الشوق جهدي  
 من سنا الصبح بعد ليلة سُهد  
 أفي الحق أن يُجازى بطرد  
 نصيراً يرد عني التعدي  
 ركن دنياي أو دعامة مجدي  
 ارجعي للصواب (آمال) جدّي  
 وتقضي حقوقه وتؤدي  
 من سلام إذا التقينا وردّ  
 وأرى حُفرةً وأخشى التردّي  
 وأعني على الوفاء بعهدي  
 كيف أهوى على هوى الزوج عندي

وحناناً كأنه رقّة العشق  
 صدق الأولون ألآن أدري  
 كيف قلبي تحبّه كيف تهواه  
 عبثاً أمرُ الفؤاد وأنهي  
 كلّ نصح يُقال للقلب في الترك  
 لم لا أشتهي مراداً وأهواه  
 ومرادُ ألدّ في العين لمحا  
 ملكُ جاء حجرتي يشرحُ الحُبّ  
 لم لم أتخذه في حادث الدهر  
 لم لم أتخذه بعد عليّ  
 لا وربّ الجلال والحقّ (آمال)  
 أنت من أمة تصون حمى الزوج  
 ربّ لا تجعل العلاقة إلا  
 ربّ إن البلاء مني قريب  
 رب لا تقص أن أخون علياً  
 أنا حيرى وأنت تهدي الحيارى

### (ثم مستمرة):

على الأمير ولا تجزيه طغيانا  
 إن اللبابة تحوط الغاب أحيانا  
 يلبسك تاجاً ولم يُنزلك إيوانا  
 بعد الزواج ولم ينهل إحسانا  
 يبني لدولته في الأرض أركانا  
 وتجعل الحرّة الفضلى له شانا  
 لا تجعلي الملك المهديّ شيطانا

لا لا رويدك يا آمال لا تثبي  
 واحمي حمى الليث في أيام غيبته  
 هببه لم يخلع الدنيا عليك ولم  
 هببه لم ينفجر قبل الزواج ولا  
 هببه سافر في شأن له جليل  
 أما هو الزوج يُرعى حقّ غيبته  
 لقد أقامك في محرابه ملكاً

## الفصل الثاني

في قلعة ضاهر العُمر صاحب عكا

(فناء قليل الضوء مبني من الحجر انتشرت المصاطب في جوانبه،  
يطل من بعض جهاته على الميناء حيث يرسو الأسطول الروسي، في  
ناحية من فناء الدار بعض الجند يتحدثون ...)

أحد الجند:

سمعتُم الرعد؟

آخر:

سمعنا القُعُوعه

بربكم هل في السماء مسبعه؟

أم في السماء وقعة ومعمعه

الأول:

كجبل من الرخام انشَقَّ

علي بك الكبير

أو كالنحاس بالنحاس دُقًا

الثاني:

والبرقُ لمحَّةُ القَبَسِ أو زفرةٌ حَرَّى النَّفْسِ  
أو كالدَّمِ القَانِي انبجس  
شَقَّ الظَّلامَ وَخَفَّقَ على مُلاءةِ الأُفُقِ  
كَأنه خَيْطُ الشَّفَقِ

حبيش:

ضرغام

ضرغام:

ماذا يا حبيش؟

حبيش:

أَلَعَمَى لَكَ العَمَى  
البرد زاد

ضرغام:

صه أما في طوبة نحن أما

حبيش:

ضرغام إني قد حسدت القوم في جهنمًا

ضرغام:

الفصل الثاني

اصعد إليهم إن أردت

حبيش:

كيف؟

ضرغام:

هاك سلما

وانشد حماتي بينهم وطف بها مُسَلِّمًا

حبيش (لملاط):

مَلَّاط

ملاط:

لَبَّيْكَ حُبَيْشُ

حبيش:

قم أخي لك العَطْبُ

ملاط:

وما الذي أصنع يا حبيش

حبيش:

جئنا بحطب

ملاط:

علي بك الكبير

من أين؟

حبيش:

قم خذ كلَّ مَا لاقَت يداك من خشب

ملاط:

كيف أُجْرُ السِّقِّاق والبرد بأطرافي ذهب  
كأنني مَيْتُ اليهود نُزِعْتُ منه الرُّكْب

حبيش:

يا لك بردًا قارسًا وزمهيرًا لانعا  
لا الصوف فيه واقياً ولا الحرير نافعا

ضرغام:

ما الصوف ما الحريد ر لا لا أعطنا برادعا

حبيش:

انظر قَفَا صاجِبنا كأنه بغل نُبح  
وانظر أهاتيك أنو فُ في الوجوه أم بلح؟  
كأن كل رَجُل في أذنيه قد جُرح

(تسمع فرقة)

آخر:

صوت؟!

الفصل الثاني

ضرغام:

أجل!

الأول:

ما الصوت؟

ضرغام:

تلك فرقعة

الأول:

وأين؟

ضرغام:

عند الترك هل من موقعه؟

(تسمع فرقعة ثانية)

حبيش:

وذاك؟

الأول:

مدفَعُ وتلك بُندقَةٌ  
اسمع!

ضرغام:

علي بك الكبير

وما ذلك!

الأول:

تلك طقطقه  
أقدام خيل في الفضاء مُطلقه

ملاط:

ربِّي متى ينقضي البلاءُ  
وتنقضي الحربُ والشتاءُ

حبيش:

ربِّي متى نَنعم بالسُّلم متى  
كم ذا إلى كم نحنُ حربٌ وشتا

آخر:

كم أنا كالفار شقي  
من خندق لخنديق  
أصحو على المدفع أو  
على صفير البندق

حبيش:

قل لنا يا خرابُ ما هذه الحالُ؟  
قد سئمتنا القتال واشتاقت الزوج  
وتركنا وراءنا الدور عزَّ القم  
وبنو ضاهرٍ شرابُهُم العُنْد  
متى تنتهي؟ وأين المصيرُ؟  
إلى زوجها وحنَّ الصغير  
ح فيها وقلَّ فيها الشعير  
باب والشَّهد قوتهمُ والفطير

آخر:

كل حين يجيء من مصر جيش  
ينزل القدس أو يحلُّ الشَّاما

## الفصل الثاني

وأَمِيرٌ يقاتلُ التركَ في مصر      أتى شاهراً علينا الحُساما  
نحنُ ما بينَ مصرَ والتركِ ضِعنا      وَسَيِّمْنَا الحِياةَ والأياما  
غنم نحن بين راعٍ وذئبٍ      أي هذين جاع كنا طعاما

آخر:

وغداً ...

حبيش:

ما غدُّ؟

الأول:

بلاءٌ عظيم

حبيش وآخرون:

كيف! ما ذاك؟

الأول:

اسألوا ضرغاما

ضرغام:

العمى للرجال ما تُبصرونَ الفلـ      ك في البحر تُشبهه الأعلاما

آخر:

علي بك الكبير

فـلـك مـن؟

فُلُّكُ قَيَصِرُ الرُّوسِ فِي الْبَحْرِ      رَ تَصُبُّ الرَّدَى وَتَرْمِي الْحَمَامَا  
قَطَعَ مِنْ جَهَنَّمَ رَاسِيَاً      قَعَدَ الشَّرُّ حَوْلَهُنَّ وَقَامَا  
وَعَدَا يَنْزِلُ الْجَنُودَ فِيحَا      تَلُونُ هَذِي الْقَلَاعَ وَالْأَجَامَا

ملاط:

إِذْنٌ فَأَهْلًا بَغْدِ      إِنْ غَدًا قَدْ اقْتَرَبَ

آخر:

كيف! وماذا في غد؟

ملاط:

فِيهِ كِرَائِمُ السَّلْبِ      غَدًا نَفُوزٌ بِالسَّلَاحِ  
وَالْمَلَابِسُ الْقُشْبُ

آخر:

وَمَا عَلَى الصُّدُورِ مِنْ      قَلَائِدٍ وَمِنْ صُلْبِ  
وَعَادَةُ الرُّوسِ يَنْ      وَوَعُونَ بِصَلْبَانِ الذَّهَبِ

(يدخل ضاهر العمر ومعه حسين المصري)

ضاهر:

وكيف حال الدار؟

حسين:

الفصل الثاني

غابية الأَسَل أو هي وكر النسر في رأس الجبل

ضاهر:

وسَهْرُ الدار على الضيف الأجل

حسين:

تحفظه حفظ الجفون للمقل

ضاهر:

والشام. كيف تجد الشام؟

حسين:

نُـــــــزُلُ يَلِيقُ فِي جَنَّةِ عَدْنِ لِلرُّسُلِ  
أَنْهَارَهَا مِنْ لَبَنِ وَمِنْ عَسَلٍ لَا شَيْءَ إِلَّا فِي ذُرَا الشَّامِ كَمَلٍ  
إِنْ تَخَلُّ مِنْ شَيْءٍ فَمِنْ لَحْمِ الْحَمَلِ

ضاهر (ويصفق):

غَضْبَانُ صَعْبُ يَا عَبُوسُ يَا نَكْدُ

صعب وغضبان:

لَبَّيْكَ مَوْلَايَ اقْتَرِحْ أَشْرُ تَجْدُ

ضاهر:

امضوا اجمعوا الحملان من سوق البلد وقدموها للضيوف منذ غد

علي بك الكبير

(ينسحب حسين والخدامان)

(يدخل خادم ويقول):

مولاي

ضاهر:

ماذا.. زائر آخر؟

الخادم:

لا سيدي، بل هذه زائره

ضاهر:

امرأة أنثى؟

الخادم:

أجل سيدي

ضاهر:

وما اسمها؟

الخادم:

لم ترض أن تذكره

ضاهر:

الفصل الثاني

هل صرّحت من أين جاءت؟

الخادم:

أجل من مصر مولاي من القاهرة

ضاهر:

وما سنها؟

الخادم:

غادة في الصبا تُشَبِّهها الزنبق الطيبا  
وقد لبست حلة للسفار وشالاً كوشي الضحى مُذهبا  
تريدُ تقابلُ ضيفَ الأمير

ضاهر:

تريد علياً إذن مرحبا

(ثم لنفسه):

إلهي أنتي لداري سَعَتُ  
تُرى امرأة هي أم حيّة  
تريدُ علياً فما تطلبُ  
تريدُ صديقي أم عقربُ

(يخرج ثم يعود بشمس)

شمس:

سلام لك مولاي

علي بك الكبير

ضاهر:

فما أَنْتِ؟ وما تَبْغِينَ؟  
سَلَامٌ جَارَةَ الدَّارِ  
مَنْ ضَيْفِي وَمَنْ جَارِي

شمس:

رَسُولُ أَنَا يَا مَوْلَايَ  
جَرَى فِي مَصْرِ الدَّهْرِ  
قَدْ جِئْتُ بِأَخْبَارِ  
بِأَحْوَالِ وَأَقْدَارِ

ضاهر:

وما ذلك؟

شمس:

لَا أُعْطِي سَوَى مَوْلَايَ أُسْرَارِي

ضاهر:

هِيَ تَقْدَمُ فَتُشِّ السَّيِّدَةُ

شمس:

لَا سَيِّدِي يَحْسُنُ أَنْ تَبْعُدَهُ  
مُرًّا لَا يَمُدُّ الْوَحْشَ نَحْوِي يَدَهُ

الخادم (ويتقدم نحوها):

مَا ضَرُّ لَوْ زَحْزَحْتَ الْـ غَادَةَ فَضَلَ الْبَرْقِعِ

شمس:

## الفصل الثاني

ما لك يا وغد وللـ برقع دع عنك دع

**الخادم:**

عمى لك يا عمر ما ذي غدا  
وتلك الجفون سلاح مضي  
وفي الصدر غدارةً ها هنا  
وهذا القوام كرمح الأمير  
ئُرُّ لكنها أفعوان قَبَعُ  
وسهم أصاب وسيف قطع  
وأخرى إلى جانبيها تَقَعُ  
إذا اهتز في كفه أو لمع  
أميري أنزع منها السلاح

(يدخل علي بك)

علي بك (بعد أن يسمع):

سلاح الملاحة لا ينتزع

(ينسل ضاهر)

(علي بك لشمس)

أهلاً بشمس بالرسول ومرحباً  
كيف الأحبَّةُ (شمسُ) هاتي خبري  
كيف الديارُ وكيف قصري هل تُرى  
أتراهمو قد رُدَّهم خدمي وقد  
وموائدي يا شمسُ كيف موائدي  
بنسيم مصرَ ونفحة الأحابِ  
قد طال بُعدي عنهمو وغيابي  
ترك القواصدُ والصنائعُ بابي  
منعوا طعامي عنهمو وشرابي  
والطاعمون بها وكيف رحابي؟

**شمس:**

مولاي طَبَّ نفساً فَبِرُّكُ لم يزل  
يَجري وخيرُكُ في يدِ الطلابِ

علي بك:

علي بك الكبير

والناسُ شمسٌ؟

شمس:

مع الأمير قلوبهم لكن سيوفهم مع الكذاب  
الغُرُّ والأمراء حول ركابه

علي بك:

وكذاك كانوا أمسٍ حول ركابي  
والأزهر المعمور؟

شمس:

صادَ محمدٌ فيه الشيوخَ وعاد بالطلاب

علي بك:

والشعبُ؟

شمس:

سأل يا أميرُ كعهده قد مالَ عن بابٍ وقام ببابٍ  
والتركُ قد نصبوه بعدك هرةً يتصيّدون بظفرها والنباب

علي بك:

والقصرُ كيف القصرُ كيف صديقتي وشريكتي في شدتي ومُصابي؟  
أرأيتِ آمالاً وكيف وجدتها؟

شمس:

## الفصل الثاني

لم نفترق مولاي

علي بك:

منذ نهابي؟

شمس:

عزمت علينا أن نقيم بقصرها وتعطفت وحنّت على الأتراب

علي بك:

فوجدتها يا شمس

شمس:

خَيْرَ عَقِيلَةٍ وَأَجَلَ رَبَّةٍ مِنْزَلٍ وَحِجَابٍ  
مَلَأَتْ مَكَانَكَ عِزَّةً وَمَهَابَةً  
سَهَرَتْ عَلَى ذِكْرِى الْأَمِيرِ وَعَهْدِهِ  
لَوْ كُنْتُ أُمِّسِ تَرَى رَأَيْتَ أَبِيَّةً  
وَكَسَتْ حَمَاكَ جَلَالََةَ الْمِحْرَابِ  
سَهَرَ اللَّبَابَةَ عَلَى حَرِيمِ الْغَابِ  
غَضِبَى مُحَامِيَّةً عَنِ الْأَحْسَابِ

علي بك:

غَضِبَى؟ وَمَمَّ وَمَا جَرَى مَا رَاعَهَا؟

شمس:

من سافل مُتَهافت دَبَّاب

علي بك:

علي بك الكبير

ما ذاك شمس من الوقاح من الذي نَقَلَ الحُطَى بمنازل الغيَّاب  
شمس (لنفسها):

رَبَّاهُ ما ذا قلتُ لَمْ خَبَّرْتُهُ

علي بك:

قولي أجيبني؟

شمس (لنفسها):

رَبِّ كَيْفَ جوابي

(شمس لعلي بك)

ذَنْبٌ فلا تجعله شغلك سيدي إن القذارة شيمَةُ الأذئاب

علي بك:

من ذاك شمس؟

شمس:

مراد

علي بك:

ويح له ولي ويحي من الأتباع والأصحاب  
أمرادُ يَصْنَعُ ذاكَ ما ذا غرَّه بِخزانتني ما غرَّه بثيابي

## الفصل الثاني

### والزوجُ شمس؟

**شمس:**

استعصمت في دينها ورمت بزائرها وراء البابِ

**علي بك (لنفسه):**

يا نفسُ قد خان مَنْ قَلَدته ثِقَتِي وكان حولي لواءَ الصَّحْبِ والآلِ  
هذا أبو الذهب استولى على شِيعِي وحازَ دونيَ جاهي واحتوى مالي  
واليوم هذا مرادُ نال من شرفي ما لا يمر لأعدائي على بال

**(علي بك لشمس)**

تعالِي نَجُلُ يا شمسُ في دارِ ضاهرِ تعالِي نرى الجيشَ الحليفَ تعالي  
فنحنُ اقتسمنا الحصنَ ثمَّ عيالُهُ على كثرةِ اللاجي وثمَّ عيالي

**(يدخل حسين من باب ويدخل سعيد من باب آخر)**

**سعيد:**

حسين هنا؟

**حسين:**

من أرى مَنْ سعيد؟

**سعيد:**

سلامٌ حُسَيْنُ

علي بك الكبير

حسين:

سَلَامٌ سَعِيدٌ

سعيد:

أَنْتَ هُنَا لَمْ تَزَلْ يَا أَخِي تَرَاقِبُ فِي الشَّامِ حَالَ الطَّرِيدِ؟

حسين:

وَكَيْفَ اقْتَحَمْتَ فِنَاءَ الْعَرِينِ وَجَاوَزْتَ هَذَا الْحَصَارَ الشَّدِيدَ؟

سعيد:

بِمَالٍ بَدَلْتُ هُنَا وَهَنَاكَ وَبِالْمَالِ يُعْطَى الْفَتَى مَا يَرِيدُ

حسين:

مَتَى جِئْتَ مِنْ مِصْرَ؟

سعيد:

هَذَا الصَّبَاحُ

حسين:

وَمَنْ كَانَ مَعَكَ؟

سعيد:

بِغَالِ الْبَرِيدِ

## الفصل الثاني

حسين:

وماذا بمصّرٍ من الحادثات؟ وهل جدّ في أرضٍ مصرٍ جديد؟

سعيد:

حوادثٌ مصّرٍ على حالها وأمس القريب كأمس البعيد

حسين:

وكيفَ محمد؟

سعيد:

خَلَّفْتَهُ  
قبولٌ يحرّقُ قلبَ الحسود  
ودنيا تفيضُ وشأنٌ يزيد  
لقد نزلَ الريفُ في راحتيه  
وحجّ إلى قدميه الصعيد  
تَرَى الأُمراءَ على بابِه  
يقومون فيه قيامَ العبيد  
وللفقهاءِ على دارِه  
صباحَ مساءٍ زحامٌ شديد

حسين:

إذن قُضِيَ الأمرُ مصرٌ لنا

سعيد:

أجل ملكنا اليومَ فيها وطيد

حسين:

وكتّبي سعيد؟ تجيء الأمير؟



الفصل الثاني

حسين:

ماذا يا سعيد قل سل

سعيد:

أين تُرى أصادفُ الآن علي؟

(يقبل علي بك)

حسين:

سعيدُ انظر التفت هذا الأميرُ مقبلا  
يمشي الهوينًا ويُخـدُـ الُ الأسدَ المستمهلا

سعيد:

حُسينُ ما له انحنى ما باله ترهَّلا  
لأمشيينَ نَحْوَهُ

حسين:

لا يا أخي بل ابُق

سعيد:

لا

حسين:

إياك أن تقولَ ما يغضبه أو تفعل

علي بك الكبير

فهو مهيبٌ ها هنا كالليث في جوزِ الفلا

**سعيد:**

لا تخشَ لا أكون إلا محسنًا ومجملاً  
ألم يكن أمس أمـ ير البلد المبجلاً

**علي بك (لسعيد):**

من المرء من أين من أرض مصر؟ فهذا اللباسُ لباسُ الوطن

**سعيد:**

أجل ملكي من رعاياكمو

**علي بك:**

ومن مصرَ هذا اللسانُ الحسن  
وما اسمُك؟

**سعيد (لنفسه):**

ما همُّه اسمي؟!

**(سعيد لعلي بك)**

سعيد

**علي بك:**

## الفصل الثاني

سعيد تذكرت من أنت من

سعيد (لنفسه):

تذكرني عجبُ كيفَ ذلك! ولم نجتمع مرة في الزمن  
تراه بي ارتابَ ظنَّ الظنونَ تراه لما كلّفوني فطنَ

علي بك:

وكيف تركت بمصر الأمور؟

سعيد:

عواصفُ حولَ مراسي السفنِ وجوُّ الأمور من الحادثات  
كثيرُ الغيوم كثيرُ الدُجنِ

علي بك:

وكيف تركت الأمير الجديد؟

سعيد:

سقيمُ الولاية نكدُ الزمنِ

علي بك:

ولم يا فتى هل تولّى الوليَّ وخانَ من الشيعة المؤتمنَ

سعيد:

أجل يا أميرٍ ودبَّ الخلافُ وثارتَ هنا وهناك الفتنُ

علي بك:

حديثك يا صاحبي لا يُسأغُ  
عساك تبالغُ فيما تقول  
إذن لم يَحُنْ عهدِي الأمراءُ  
ولم ينس أصحابي الفقهاءُ  
ولا الشعب ملَّ الأمير القديم  
بلغت المدى أيُّ هذا الفتى  
فما نحن في فلوات الحجاز  
ولكن على الشام فوق الطريق  
وأخبارُ مصرَ وأحوالها  
ولا تطمئن إليه الأذن  
لعلك تخلُق ما لم يَكُنْ  
ولم يقلب الترك ظهر المجنْ  
أياديَّ عندهمو والمننْ  
ولا بالأمير الجديد افتتنْ  
رُوِيْدَ تَأَنُّ رُوِيْدَ تَأَنُّ  
ولا نحن في ربوات اليمن  
تمرُّ الركابُ بنا والسُفن  
هنا سمرُّ للقرى والمدنْ

سعيد:

وكتب الثقات إلى سيدي

علي بك:

وما هي من أرسل الكتب مَنْ؟

سعيد:

كتابان من عمر الچركسي ومن حسنِ

علي بك:

مَنْ؟ صديقي حَسَنُ؟

كتابان من مصر من صاحبي؟

سعيد:

الفصل الثاني

أجل سيدي

علي بك:

سوف أُغلي الثمن  
وأين الكتابان؟

سعيد:

خذ سيدي خذ النعش خذ من يدي الكفن

(وينقض عليه بخنجره فيقبض علي بك على ساعده)

حسين (لنفسه):

أسفاه على سعيدٍ فما أدري  
نحن سيان في البلاء وأيدٍ  
هو في قبضة الأميرين لم لا  
إلى أين ينتهي؟ أين يُمسي؟  
طلبت رأسه ستطلب رأسي  
أتواري أنسل أنجو بنفسي

(ثم يُنسلُ هارباً)

علي بك:

كيف ترى يا معتدي لقد وقعت في يدي

(يدخل ضاهر ويقول):

اتركه لي يا سيدي  
اتركه لي فإنه في داري سطا بضيبي وسطا بجاري

علي بك:

علي بك الكبير

مَنْ؟ ضاهر؟ بالنفسِ أفدي ضاهرا      أكنتَ معنا يا أميرَ حاضرا

ضاهر:

كنت عليك يا صديقي ساهرا  
والآن أذهب يا أمير بصاحبي

علي بك:

أتريدُ تذهبُ بالأثيم العادي

ضاهر:

لِمَ لا وفي داري وبين عَشيرتي      شَهَرَ السلاحِ على أمير الوادي  
دعني أحلُّ به العقابَ وخلُّني      أمتع حمى شرفي وحوض وداي

سعيد (في ضراعة):

مولاي!

علي بك:

ما بكِ قُلْ؟

سعيد:

بمصرَ وحقَّها      لا تُلُق رأسي في يد الجلادِ  
مولاي سيفك بي أبرُ فسَلُّهُ      إن شئت فاقتلني بسيف بلادي

ضاهر:

الفصل الثاني

حَسَنُ قَمِ انْهَضْ يَا بَنِيَّ قَمِ انْطَلِقْ      فَلَقَدْ طَلَبْتَ الْخَيْرَ عِنْدَ جَوَادِ  
أَنَا قَدْ وَهَبْتُكَ لِلْأَمِيرِ وَقَدْ عَفَا      إِنَّ الْأَمِيرَ بِكُلِّ فَضْلٍ بَادِي

علي بك:

الآن سعيد

سعيد:

أميري قل

علي بك:

تَكَلَّمْ أَبْنُ نَبْنِي مَنْ أَمْرُ  
وَمَنْ بَدَلَ الْمَالِ بِي مُغْرِيًا      وَكَيْفَ أَتَاكَ جَوَازُ السَّفْرِ  
تَكَلَّمْ أَبْنُ

سعيد:

سيدي أعفني      فلا خير في أن يديع الخبر

علي بك:

قل السر لا تخفه لا تخف      فسررك عند صديق العمز  
أليس محمد المجتري؟      قل الصدق تأمن به كل شر

سعيد:

مراد أشار بقتل الأمير      وغير مراد به لم يشر

علي بك:

علي بك الكبير

مراد؟

سعيد:

أجل إنه المعتدي وما أنا إلا سلاحٌ شهز

علي بك (ملتفتاً بظاهر العمر):

سمعت أخي ما يقول الغلام  
إذا ما بغى الأهل والأقربون  
عدو من الأهل ثانٍ ظهز  
فكيف من العالمين الحذر

(يخرج الظاهر فيتغيب لحظة ثم يعود فيقول)

ظاهر:

أميري

علي بك:

من صاحبي ظاهر

ظاهر:

هناك مولاي ضيفٌ حصر

علي بك:

ومن؟

ظاهر:

الفصل الثاني

قائد الروس في عكَّةٍ أيدخل مولاي أم ينتظر؟

علي بك:

أميرٌ على البحر ماذا يقود؟

ضاهر:

بوارج للروس مثل الجزر

علي بك:

وماذا ترى أنت مرني أشر

ضاهر:

تلاقيه فهو جليل الخطر

علي بك:

أألقيه؟

ضاهر:

لم لا وما في اللقاء إذا ما سمحت به من ضرر

(يصفق الشيخ ضاهر فيدخل القائد الروسي محاطاً برجال الشيخ  
... ويخرج ضاهر وسعيد ورجال الشيخ)

القائد:

علي بك الكبير

التحياتُ للأمير

علي بك:

تَحِيَّاتٌ وَأَهْلًا بِسَيِّدِي الرَّبَّانِ  
أَدْنُ خَذُ مَجْلَسًا بَجَنَبِي تَفْضَّلُ

القائد:

عِشْتَ مَوْلَايَ مُوَلِّيَ الْإِحْسَانِ  
نَحْنُ جَارَانُ يَا أَمِيرَ وَلَكِنْ  
وَأَنَا الْحَوْتُ فِي الْعَبَابِ مَكَانِي  
أَنْتَ كَاللَيْثِ رَابِضًا فِي الصَّحَارِي

علي بك:

غَيْرَ أَنِّي مُقَيَّدٌ بِخَطُوبِ  
حَبَسْتُ هَمَّتِي وَرَدَّتْ عَنَانِي

القائد:

لَا تَضِيقْ يَا أَمِيرَ ذَلِكَ أَسْطُولِي  
سُفْنُ الْقَيْصَرِ الْعَظِيمِ قِصُورٌ  
خِلَالَ الْبَحَارِ نُورِ الْمَوَانِي  
لَكَ إِنْ شِئْتَ زِينَتٌ وَمِغَانٌ

علي بك:

أَشْكُرُ الْقَائِدَ النَّبِيلَ وَإِنْ لَمْ  
يَخْفِ مَا فِي خَطَابِهِ مِنْ مَعَانِ

(مستمرًا):

أَنَا فِي دَارِ ضَاهِرٍ وَهِيَ دَارِي  
أَنَا فِي دَارِ مُسْلِمٍ عَرَبِيٍّ  
مَعَ أَعْوَانِهِ وَهُمْ أَعْوَانِي  
مَانِعِ الدَّارِ مُكْرَمِ الضَّيْفَانِ

## الفصل الثاني

أنا في الدار أولُ منذ هاجرت إليها وصاحبُ الدار ثان

**القائد:**

سيدي ألق ضاهراً وتقلد  
لا ترومَنَّ بالعصا مُلكَ مِصر  
نجدة القيصرِ العظيم الشان  
كيف نبغي سريرَ مِصرَ بشيخ  
واطلب الملكَ بالحسام اليماني  
بدوي بصارمٍ وحصان

**علي بك:**

بكريم من الرجال أبي  
فزين القول يا نبيلُ وأمسك  
عبقريّ الوفاء والإحسان  
لا تتلّ ذكراً صاحبي بهوان

**القائد:**

ما أهنّت الصديق مولاي لكن  
قلت أحسنُ تخيرُ الأعوان

**علي بك:**

ليست النجدة البوارج كالأعلام  
ليست النجدة الحديد ولا النار  
تطوي اللجاج كالطوفان  
ليست النجدة اصطفاف العوالي  
بأيدي المشاة والفرسان  
والتفاف العروش والتيجان

\*\*\*

ما النجدة الحق إلا صاحبُ دمه  
أخ قديمٌ كعرق التبر حُلته  
عند البلاء دمي أو ماله مالي  
وعرضه عندي الغالي وإن بُعدت  
لم أسق من وده إلا بسلسال  
به الديار وعرضي عنده الغالي

**القائد:**



## الفصل الثاني

رباه ماذا يقول المسلمون غدًا  
يُقَالُ في مشرق الدنيا ومغربها  
إن خنت قومي وأعمامي وأخوالي  
فعلتُ فَعْلَةً نذل وابن أنذال

(علي بك للقائد)

أجل سَمَوْتُ لِمُلْكِ النِيلِ أطلبه  
لا أستعين على الأهل الغريب ولا  
بهمتي وبإقدامي وأفعالي  
أرمي الذئبَ على غابي وأشبالي

القائد:

مولاي تلك معانٍ تحتها كرمٌ  
ليستَ لمن طلب الدنيا بأشغالٍ

علي بك:

بُعْدًا وَسُحْقًا لِعِليَاءِ الأُمُورِ إذا  
الموتُ في ثَمَرِ تَرْقَى لتَجْنِيَهُ  
لم أَلْتَمَسْهَا بِخُلُقِ فَاضِلِ عَالٍ  
في سُلْمٍ من ثَعَابِيْنِ وَأَصْلَالِ

القائد:

إذن أَمِيرِي فالأسطول منتظري  
والبحر يسأل عن شأنِ الأَمِيرَالِ

علي بك (بصوت منخفض):

أذهب فما أنتَ دارٍ ما غَدُّ فعسى  
يُغَيِّرُ الله من حالٍ إلى حالٍ

(ينصرف القائد ويشيعه ظاهر وأتباعه)

(علي بك لنفسه)

رباه ما بالي أبعدَ محمد  
وعقوقه أشقى بكيدٍ مرادٍ

ركني ويبكُرُ عاصفُ فيغادي  
هوجَ الرياحِ مناكبُ الأطوادِ  
بالضفَّتَيْنِ فتى يحوطُ الوادي  
من قائلِ هذي البلادُ بلادي  
والشعبُ يسرُحُ كالقطيحِ الهادي  
من فاتحِ باغٍ لآخرَ عادي  
من ظلمِ أحبابٍ وكيدِ أعادي  
جشعُ العداوةِ لا يَمَلُّ طرادي  
وحوى بأخرى طارفي وتلادي  
ومرادُ الباغِي يدوسِ وسادي  
لمحمدٍ ورفاقه الأوغادِ  
خلعوا عليه إمارةَ الآسادِ  
حيرانَ ليس لحيرتي من هادِ  
لاقي الخسارِ على الندامةِ غادِ  
والروسِ حولي يخطبونِ ودادي  
سأصيبُ جُندي عنده وَعَتادي  
ما تلكَ خُطَّةُ حكمةِ ورشادِ  
إن الجناةَ عليَّ همُ أولادي  
مهدي وكان بغيرها ميلادي  
بعد الشبابِ مراتبِ القوادِ  
فاعتضتُ تيجانًا عن الأصفادِ  
لوساوسِ الشهواتِ والأحقادِ  
ضعفاءِ مهزولينَ غيرِ شدادِ  
من أنعمِ سَلَفَتُ وبيضِ أيادِ  
لك في الشبابِ وهيأتُ من نادِ

أنا صخرةُ الوادي يُراوحُ عاصفُ  
حَمَلْتُ كواهليَ الخطوبَ كما حَوْتُ  
ولقد تركتُ ورائي الوادي وما  
لم يبقَ في مصرٍ ومصرُ عزيزةُ  
الذئبُ يرتعُ في الديارِ ويرتعي  
نقلَ الزمانُ زمامهُ ورمى به  
ويحي فما وقف الرجالُ كموقفِي  
فهناك في فسطاطِ مصرِ محمدُ  
حتى حوى بيدِ مواكبِ دولتي  
ما لي محمدُ الأثيمُ يكيدُ لي  
عجبُ العجائبِ مصرُ صارت ضيعةُ  
ذئبُ أتى الأتراكُ في الوادي به  
وبقيتُ في أرضِ الشامِ مُشَرِّدًا  
قد نمتُ عن حقي وتاركُ حقه  
ما لي قعدتُ وتركيا مقهورةُ  
أسطولهم بيدي وقائدهم معي  
لا يا عليُّ رُوَيْدَ في الغضبِ اتئدُ  
ماذا جنتُ مصرُ عليَّ وأهلها  
ما ضَرَّ مصرَ وضرَّني إن لم تُكُنْ  
بلدُ رعاني في الصبا وأحلَّني  
ودخلته عبداً كيوسفَ مُشترى  
لا يا عليُّ اسمعِ نُهْاكِ ولا تُصخِ  
لا ترمِ بالروسِ الشدادِ جماعةُ  
لا تنسِ موضعِ مصرِ واذكرِ ما لها  
لا تنسِ ماذا أَلْفَتُ من سامرِ

شمس:

الفصل الثاني

أميرِي

علي بك:

شمسُ سمعتِ النجِّيَّ؟

شمس:

أجل سيدي وعلمتُ الخَبْرُ

علي بك:

فماذا تريْن؟

شمس:

أرى الخطبَ جَلَّ وأنتَ عليه جليلُ الصَّبْرُ  
وما زدتُ علمًا بحلم الأمير ولا خُلِقَه الأريحي العِطْرُ  
دع الروسَ لا تنتصرُ بالغريب وبالله بالأقربينَ انتصرُ

علي بك:

وأينَ همو شمس؟

شمس:

هم في يديك وتحتَ لوائِكَ مُر قَلِ أشر  
أصخ لساجاياك فالخير فيكَ

علي بك:

علي بك الكبير

وليس يُقَابِلُ إلا بَشْرُ  
أبو الذهب العُرُ الترك لاذَ  
وفي مصر في غديها ما افتكُرُ  
وكم قد غزاها على رايتي  
وكم من سلاح عليهم شَهْرُ  
وكنّا حَطَطْنَا انتشال البلاد  
وإنقاذها من عُنُو التَّتْر  
ونُهضها في النواحي الأخرُ  
وأن نستقل بسلطانها

شمس:

تركت ورائي ما تبتغي  
من العون والمدد المنتظر

علي بك:

جموع؟

شمس:

هناك على الصالحية  
وينتظرون ركاب الأمير  
جمع كسرِبِ الجراد انتشرُ  
كمثل انتظارِ النباتِ المَطَرُ

(يعود ضاهر)

ضاهر:

ضاهرٌ عند ظن مولاي فيه

علي بك:

مَنْ؟ صديقي أخي حليفي ضاهر؟

ضاهر:

## الفصل الثاني

قد سمعت الذي جرى ولمست  
عزوتي سيدي ونفسي ومالي  
نحن إلفان يا أميري على الأرض  
ومعي مدفعان من سلب الترك  
والمواشي كثيرة في ضياعي  
كل شيء كما تحب مهياً  
الفضل والنبيل والسجايا الطواهر  
في الذي شئت ما الذي أنت أمر  
وإلفان في متون الضوامر  
وتل من السيوف البواتر  
والطريق الطويل بالخير عامر  
فمتى الظعن سيدي مر نساfer

علي بك:

غدا الظعن يا أخي قم تاهب  
إنما الغنم للخفيف المبادر  
ضاهر اسمع هناك في مصر

ضاهر:

ماذا؟

علي بك:

أهبة يا أخي وجيش مناصر  
من صحابي المشردين وأتباعي  
ومن كل حافظ العهد ذاكر  
إن جمعنا إليه جيشك سرنا  
وأخذنا محمداً أخذ قادر  
وانتزعنا البلاد من قبضة  
الترك ومن كل فاسق الحكم سادر  
آن أن نُنقذ البلاد فماذا أنت راء

ضاهر:

هلم والجيش حاضر

علي بك:

علي بك الكبير

حاضرٌ؟ فلنَسِرْ إذن

ضاهر:

بعيون الله في حفظه بأيمن طائرٌ

(ثم يصيح):

عَرَبَ الشامَ تلكَ مصرُ دعتمكم

جماعة من عرب الشام:

أَفَ لَبَّيْكَ مِصرُ لَبَّيْكَ ضاهر

## الفصل الثالث

(الوقت بعد الغروب، في سرادق محمد بك أبو الذهب بالصالحية، حيث دارت رحى الحرب بينه وبين علي بك. في الوجه محمد بك راقد على سرير وعثمان الجاسوس التركي يكبس قدميه. في أحد جوانب السرادق جماعة من البكوات يتحدثون ويلعبون الشطرنج. في الجانب الآخر خادمان مصريان مشغولان بتنظيف ملابس محمد بك أبو الذهب ...)

أحد الخادمين (للآخر):

ولدي زعزوع أنصتْ  
نحن في أيام جهلٍ  
نحن فوضى من مراح الشـ  
في زبون من حروب  
ورءوسُ في الصواني  
وعزيزُ هان ما كان  
أصبحَ الناسُ على الـ  
حركات كالسكونُ  
وقفَ الحاكمُ من  
مثلَ ما قد وقف الد  
وشريك الشعبِ في  
وشريكًا في الأواني

أصغ للحقِّ المبين  
وبلاءٍ وجنون  
ساة للخدر المصون  
الأهل في إثر زبون  
نُزَعَتْ منها العيون  
ببالٍ أن يهون  
وادي بلا دنيا ودين  
وحياةً كالمُنُون  
كل رخيصٍ وثمانين  
ائن من مال المَدين  
كدَّ يديه والجبين  
وشريكًا في الصحون

الآخر:

يا شيخُ هذا بلدٌ      أحمالُهُ بلا عدد  
من سُلْفٍ وكُلْفٍ      ومن نكوِسٍ وفِرْدٍ  
وكلُّ يومٍ مطرٌ      من الضرائبِ الجُدِّ  
وتلِدُ الفِرْدَةُ ما      لا يعلمون من ولد  
على الحمارِ فِرْدَةٌ      وفِرْدَةٌ على الوتدِ  
وفردة على اللجام      وهو حبل من مسد  
وفردة على برادع      الحصير واللبد

(مستمراً):

يا شيخ لي نعمةٌ غرامي      وكل همي كانا إليها

الأول:

ما صنعت ما الذي دهاها

الثاني:

فضقتُ ذرعًا بذاك حتى      قد ضربوا فردة عليها  
ذبحتُ شاتي وطفلتها

الأول:

ما قد دهاك دهاني      ومثل شأنك شاني  
أتيت طنطا لشغلي      وكان تحتي أتاني  
خرجتُ منها مع الليل      مُسبلاً طيلساني  
فمررتُ فوق طريقي      من لا أرى ويراني

### الفصل الثالث

أعًا عليه سلاح في صورة الشيطان  
فصاح بي قف ترَجَّلْ لقد سرقت أتاني

الثاني:

وما جرى؟

الأول:

قلت له بل الأتان لي أنا  
فقال ذاك أمس إلا أنها اليوم لنا  
بل هي لي وحدي فدعها لي وامن من هنا  
ثم رماني بيدي كأنها كف النمر  
ثم اعتلى ظهر الأتان

الثاني:

ثم؟

الأول:

لكن لم يسر حتى سمعت هدَّة  
وصرخة من النَّهر وأبصرت عيني وراء  
الليل آية القدر حمارتي تجبرت  
مثل تجبر البشر فأغرقت راكبها  
وغرقت على الأثر

مميث بك (لعثمان بك في تهكم واستهزاء):

لقد رأيناك ضحى اليوم تجي من الجبل

علي بك الكبير

فوق حصان كالم - غزال رقةً وكالحمل

عثمان بك (وفي غضب):

كذبتمو قد كان تح - تي سيد الخيل (بطل)  
لا حَمَلٌ ولا غزال ه - و لكن الوعل  
كالأفعاون في الشع - اب والشهاب في القل

مميّش بك:

وقد تمايلت على السر - ج تمايل التَّمْلُ  
وقد تدلّي بطنك - الضخّم عليه وانسدل  
كأنك المحمل والحص - ان تحتك الجمل

عثمان بك:

مميّش عبت حصاني - ولم تدع لي اعتبارا  
هذا جزاؤك عندي - خذ هاك مني عيارا

(ويطلق عليه غدارته)

محمد بك:

عثمان

عثمان بك:

ملكي

محمد بك:

لا تــــرَعُ      قد كان من حزب علي  
كفيتنيه فتولَّ      اليوم ما كان يلي  
هيوأ احملاو جثته      هيوأ اذهبوا بالرجل

(يخرج به البكوات والخدم)

(عثمان الجاسوس وهو يكبس قدم محمد بك)

عثمان (لنفسه):

خدمته والله ما      خدمتُ إلا دُولتي  
كبستَه والله ما      كبستُ إلا حاجتي  
خادمُ تركيا أنا      ما أنا خادم الغبي  
كم من حرير في نواحي      صُدرتي وذهب  
هاتيك ألقابي وتلـ      ك سُرْطِي ورتبي  
مما بلغتُ في رضا اللـ      ه وطاعة النبي  
وتحت أعلام السلا      طين السيوف القُصْب  
أقمتُ في مصر سنيـ      ن أنزوي وأختبي  
وأنا حينًا ماهنُ      وأنت أحيانًا صبي  
أرمي أحمًا على أخ      وأصدم ابنًا بأب  
لم آل حكم الغُزِّ      جُهد الباحث المنقَّب

(يفيق محمد بك ويتمطى ويتشاءب)

محمد بك:

ماذا يقولون عنا      في مصر يا عثمان؟

عثمان:

علي بك الكبير

عهد الأميرِ رخاءٌ      وغبطةٌ وأمان  
فمصرُ راضٍ بنوها      والناسُ فيها لسانُ  
يقول إن أميرِي      يحبه السلطان

محمد بك:

والأمراءُ أمنهم      مخالفُ غضبانُ؟

عثمان:

الأمراءُ جميعاً      ببابكم أعوان  
لا يذكرون علياً      وبيته مذ بانوا  
فما لغيرك صيتُ      ولا لغيرك شأن

محمد بك:

صدقتم هم حيث كـ      ان الجديد في مصر كانوا

(يقبل جندي ويقول لمحمد بك):

مولاي عندي أخبارٌ سوءٍ      وقَفْنُ في فيٍّ فهو حائر

محمد بك:

أنت رسولُ؟

الجندي:

أجل

محمد بك:

الفصل الثالث

فَخَبَّرَ بَيْنَ إِمَامِ الْقِتَالِ صَائِرُ؟  
الرُّسُلُ لَا يُسْأَلُونَ عَمَّا بَعْدَ الْمَنَاعِي وَلَا الْبِشَائِرِ

الجندي:

مولاي

محمد بك:

ماذا؟ عَجِّلْ. تَكَلِّمْ

الجندي:

دارت على جيشنا الدوائر

محمد بك:

وما الذي كان من عليّ؟

الجندي:

أُعِينَ فِي أَمْرِهِ بَضَاهِرُ

محمد بك:

وفاز؟

الجندي:

فِي أَوَّلِ التَّلَاقِي بِقُوَّةِ الشَّامِ وَالْعِشَائِرِ

محمد بك:

علي بك الكبير

إذن هلكتنا؟

جندي آخر (وهو داخل):

لا يا أميري بل أنتَ ناجٍ بل أنتَ ظافر

محمد بك:

من قال ذا؟

الجندي:

شاهدا عيانٍ

محمد بك:

من أين؟ ممَّن؟

الجندي:

من العساكر

(يدخل الجنديان ويتبعهما خدم يحملون صينية كبيرة)

الجندي:

ها هما

محمد بك:

مرحباً

الجنديان:

عوافٍ حياةٌ

محمد بك:

أوجزا

الجنديان:

نحْنُ موجزانُ المقالا  
عَادَ نَجْمُ العَدُو ظَهْرًا فمالا  
وحوينا الرجال والأموالا  
هُزِمَ الجَيْشُ صُبْحَ أَمْسٍ ولكن  
فحملنا عليه حملةً صدقٍ

محمد بك (لأحدهما):

زِدْ، أَيْنُ

الجندي:

ما قَصَّرَ الجَيْشَانِ ضَرْبًا وِطْعَانَا

(يقبل البكوات)

محمد بك (للجندي):

وأبو مَيْلَةَ؟<sup>١</sup>

الجندي:

<sup>١</sup> مدفع من صنع واختراع محمد بك أبو الذهب.

علي بك الكبير

غَشَّيْ ساحةَ الحربِ دُخانا

أحد البكوات:

قد رأينا من هنا ظُلمته واللمعانا  
وسمعنا من هنا رَجَّتَه والدَّورانا

محمد بك:

اختراعي مدفعي قد ظهر اليوم وبانا  
وَمُـــــــرَادُ؟

الجندي:

كان كالليث لحاظًا وجنانا  
شد بالزارة والوثبة في الحرب قُوانا  
كلما انهار حصانٌ تحته احتلَّ حصانا

محمد بك:

ثم؟

الجندي:

رمى بنفسه على عليٍّ في الرحي

محمد بك:

ثم؟

الجندي:

الفصل الثالث

تجالدا فلم يدعه حتى جُرَحا

محمد بك:

أين هو الآن؟

الجندي:

على آثارنا على سرير ليّين مُظَلَّل  
يخدمهالناسُ وَيُعَنَوْنَ به كالولد الممهَّد المدلَّل

محمد بك (همساً لعثمان):

عثمانُ هذا علوي لا تنسَ رأسه غدًا

(محمد بك للجندي):

تلك رعوس شيعته، ومن سعى لنصرته، من بيته وعزوته

(يأخذ الجيش في العودة من ميدان القتال في أزياء شتى بين الضجيج المتواصل من الطبل والزمر، وتقبل طائفة طائفة فيمر بخيمة محمد بك، وكلما طافت به جماعة خرج إليهم البيك فينثر عليهم الذهب وهو يقول)

محمد بك:

خذوا خذوا خذوا خذوا  
خذوا املاؤا أيديكم  
إني أنا أبو الدهب  
من الشعاع المنسكب

الجماعة:

علي بك الكبير

سَلِمْتَ يَا أَبَا الدَّهَبِ وَعَشْتَ تُعْطِي وَتَهَبُ  
أَخْجَلَ جُودِكَ السُّحْبُ

**الجيش والنظارة (يهتفون معًا):**

بني الوادي قفوا حيُّوا اللواء  
وغطوا الأرضَ وردًا والسماءَ  
رَجَوْتُمْ من وراءِ الحربِ نصرًا  
وهذا النصرُ بينَ يديه جاءَ  
هو الرمزُ المقدسُ فاتبعوه  
وموتوا في القتالِ له فداءً  
عليه ضجَّةُ الفرحِ ابتهاجًا  
بطلعته الحبيبةِ واحتفاءً  
كَأَنَّ وراءَ هيكله خيالًا  
من الشهداءِ والجرحى تراءى  
على قدمِ حيُّوا العَلَمَ  
حيُّوا الشعارِ حيوا الفخارِ  
رمزِ الوطنِ مجدِ الديارِ

**أحد القواد القادمين:**

سِدي فُزْتُ بِالْمُنَى  
هو ذا الجيشُ قد رَجَعُ  
وَهَبَ اللهُ نَصْرَهُ  
للمريدينِ والتَّبَعُ  
وعليُّ وجيشه  
شَبَعَتْ مِنْهُمَا الضُّبْعُ  
ليس يُدرى أَمَاتِ أُمُ  
في يدِ الجُندِ قد وقع

**محمد بك:**

أحل أرى الجيشَ اقترَبُ  
نشوانَ بالغِ الأربُ  
يرسل رنةَ الطَّرَبُ

**فريق من الجند (يتغنون من خارج الخيمة):**

سَلِمْتَ يَا أَبَا الدَّهَبِ وَعَشْتَ تُعْطِي وَتَهَبُ

أخجل جودك السُّحْبُ

جماعة أخرى من الجنود والنظارة (يهتفون):

يا عسكر النيل بالسلامه  
ظفرت بالنصر كل حين  
وفي رحيل وفي إقامة  
فما شهدت القتال إلا  
ورفعت للضفتين هامه  
أبليتمو قادة وجندا  
بورك في الجند والزعامه  
قد شيد الله مجد مصر  
والجيش من مجدها الدعامة

جماعة آخرون:

هلم خيل الوطن  
اليوم أنت مطلقه  
تخايلي في الرسن  
محممة وطقطه

محمد بك أبو الذهب (وينثر الذهب):

خذوا خذوا خذوا خذوا  
خذوا املأوا أيديكم  
إني أنا أبو الذهب  
من الشعاع المنسكب

الجماعة:

سلمت يا أبا الذهب  
أخجل جودك السحب  
وعشت تعطي وتهب

أحد البكوات:

ملكي

محمد بك:

علي بك الكبير

ما جرى؟

الأول:

تأمَّلْ أسيْرُ سيدي من عواهل الشام كهلُ

محمد بك:

من يسوقُ الرجالُ ضاهرُ الشامِيْ عانِ عليه قيْدُ وغلُ

(يدخل ضاهر يحوطه الجند)

ويحهم ذاك ضاهرُ ما لجندي  
كثر الجندُ في الحديدِ عليه  
قد غووا ما لقادة الجند ضلُّوا  
وهو كالليثِ في الحديدِ يبدُّ

(محمد بك، ويتقدم منه):

ما أرى ضاهرُ يُساقُ أسيْرًا  
أيها الجند ضاهرُ صار لي ضيفًا  
من فلسطينَ أنتَ ضاهرُ أم من  
أنتَ من ذاكَ يا أميرَ أجلُ  
فخلُّوا سبيلَ ضيفي خلُّوا  
أرز لبنان أم لك الشام أصلُ؟

ضاهر:

كل هذا هناك مولاي أصل  
عربُ كلنا ومنطقنا الفصحى  
واحدُ يجمعُ الرجالَ وفصلُ  
وأباؤنا نزارُ وذهلُ

محمد بك (للجند):

ما صنعتم بسيفه؟

أحد الجند:

هو عندي

محمد بك:

هاته فهو محرّم لا يحلُّ

(محمد بك ويناوله السيف)

خذ تقلدً والله ليس لهذا الظفر  
أنت خلٌّ للبيّاسين وفيّ  
إلا يد الهصّور محلٌّ  
وهو أيضًا لهم صديقٌ وخلٌّ

ضاهر:

لست أنسى لسيدي الفضلَ ما عشتُ

محمد بك:

قد ردّدنا على السموأل سيفًا  
وهل في رعاية الحق فضلٌ  
كان دونَ الوفاء أميسٌ يسألُ

ضاهر:

كيف أمشي في الشام أم في سواها  
ما لي اليوم غير ضيفي شغلٌ  
ذاك سيفي فأين إكرامٌ ضيفي

محمد بك:

من! عليّ؟

ضاهر:

أجل ومن كعليِّ ملكٌ ما له على الأرض مثلُ  
سيدي قيلَ في خلائِكَ بزٍّ ليس يُحصَى وفي سجاياك نُبلُ  
قد تركتَ الأميرَ في شدةِ الـ كربٍ وغادرتُ جمعنا وهو فلُ  
ما الذي أنتَ صانعٌ بعليِّ؟

محمد بك:

غايةُ الخيرِ فهو للخيرِ أهلُ  
هو في قصرِهِ كأمسِ المفدىِّ بينَ أولادهِ الأميرِ الأجلُ

ضاهر:

أسروني ولو بقيتَ طليقاً

محمد بك:

ما الذي كنتَ صانعاً؟

ضاهر:

كنتَ تـبـلو كيف أبني اللواءِ حولِ حليفي  
وأرُمُ الصفوفَ إذ تـضمـجِلُ

محمد بك:

بل ستبقى بمصرِ ضيفاً علينا مصرُ دارٌ للأكرمينَ وأهلُ

ضاهر:

الفصل الثالث

ورجالي

محمد بك:

سيلحقونك فيها لك عندي وللعشيرة نُزُلُ

ضاهر (لنفسه):

ذلك الغدرُ والمماليك فيهم من قديم الزمان غدرٌ وَخَتْلُ

(يشير محمد بك إلى جماعة من رجاله فيخرجون بضاهر)

(يقبل مراد في جماعة من الجند)

محمد بك:

ما أرى؟ ما ترون؟

أحد الحاضرين:

هذا مرادُ

محمد بك:

هو ذا جرّ نيلَه إندالاً

مراد بك:

التحياتُ للأمير

محمد بك:



(جماعة من الجند)

(يتغنون خارج السرادق)

سلمت يا أبا الدهب وعشت تُعطي وتهب  
أخجل جودك السُّحْبُ

(يخرج محمد بك في جماعته لتحياتهم)

(في هذه الأثناء يتقدم مصطفى اليسرجي جرياً من مراد بك  
زاحقاً على الأرض)

مراد بك:

يا لعجائب الحياة ما أرى هذا اليسرجيُّ

مصطفى اليسرجي:

اليسرجي مصطفى

مراد بك:

أنت الذي برزت لي من ساعة

مصطفى:

أجل لألقى من حُسامك الردى

مراد بك:

لقد جُرحتَ من يدي لمْ لمْ تَمّتْ

مصطفى:

مولاى لا تقطع حديثى وانتظرُ  
إني أحسُّ أجلى الآن دنا  
عجائبُ الحياة فوقَ ما ترى

مراد بك:

وهل عجائبُ الحياة غير ما  
يجرى هنا الآن؟

مصطفى:

أجل وما جرى

مراد بك:

فمُتْ إذن وأعفني

مصطفى:

لا بل أقمُ واسمع فقد يُنجيك ما أروي هنا

مراد بك:

سرُّ؟

مصطفى:

أجلُ وقد ينالك الأذى  
من أن أموت أنا والسرُّ معاً

مراد بك:

الفصل الثالث

إذن فقم إبقِ تأخراً ساعةً      قل ما لديك ثم مُت كيف تشا

مصطفى:

أهكذا ربّك جافٍ حَشَنُ      من الممالِكِ مُضَيِّعُ الوفا  
ليتكَ عشتَ راعياً في وطن      مُهدِبِ الفتيةِ صالحِ النَّشَا

مراد بك:

دَعِ الفضولَ واحترس يا مصطفى      أنت غبِيٌّ لست تدري مَنْ أنا  
أما كفاك أميس أن أخرتني      أنا وقدمت عليّ فاشترى

مصطفى:

أنت تُحبُّها؟

مراد بك:

أجل

مصطفى:

أنت

مراد بك:

أجل

مصطفى:

حَـذَارِ \_\_\_\_\_ يا مرادُ مِنْ هذا الهوى





علي بك الكبير

وا أسفي! وا ندمي! أبي عليك قد عُمي  
أفق أبي تكلم

مصطفى:

مراد! لا يقوى فمي

(ويموت مصطفى)

مراد بك:

ماتَ انتهى ربِّ ارحم

(مراد بك يلقي عليه عباةته ويرجع باكياً)

(تدخل آمال فيلمحها مراد بك ويقول لنفسه):

أجلُ أجلُ هيا      آمال أختيا  
تلك الضواريا      لأكفيئنها

آمال (لنفسها):

ما له مضطرباً يرمقني      بالرضا حيناً وحيناً بالغضب  
ما      به؟

مراد بك:

آمال

آمال:



علي بك الكبير

احملي الجُنة يا أختُ معي هي نَحْبُهَا هَلْمِي نَحْبُ

آمال (بعد أن تقف أمام الجثة وتتأملها):

حَنَانِيكَ رَبِّي أَبِي رَمَّةٌ  
أبي كيف صرت وراء التراب  
أبي ما لأذُنكَ قد أَبْطَأْتُ  
وما بالُ حَظِي منك الصدود  
وأين يدُ سَمْحَةٍ طالما  
أحقُّ أبي دَهْمَتَكَ المنون  
ذهبت كما ذهب الأولون  
مــــراد  
يَمُرُّ عليها الترابُ الخشنُ  
إلى جسد باليلَى مرَّتَهْنُ  
وكننتَ إليَّ سريع الأذُنُ  
وكان نصيبي اللقاء الحسنُ  
مسحتَ بها عبراتي الهُتُنُ  
أجل وجرتَ فيك كبرى السُننُ  
قتيل الحياة جريح الزمن  
أخــــي

مراد بك:

أختُ لا تحزني فماذا يرُدُّ البكا والحرزُ

آمال:

أحقُّ أخي أنه قد قضى  
قضى في معارك لم يجنها  
وأنا فقدنا الذرا والركنُ  
غريب التراب غريب الوطن

(ثم مخاطبة الجثة):

تمنيت أني أقيك الردى  
وأجعل غُسلك ماء الشئون  
وأختطُ بين حنايا الضلوع  
جُعِلتُ الفدا لك مما دهاك  
بنفسي ومن يدفع الموت من  
وأصنع من هُدب عيني الكفن  
صوانًا ولحدًا لهذا البدن  
وممن رَمَاكَ وممن طَعَنُ  
وليت جراحك بي يا أبي

مراد بك:

رويدك أختُ أقلِّي الشجن  
ولا تُشمتي الكاشحُ المضطغنُ  
ولا تكثري حسرات الصديق

آمال:

وكيف مراد وهذا أبوك  
لَقَى في التراب كأن لم يكن

(يخرج مراد بك وآمال بالجنة)

(يؤتى بعلي بك مجروحاً محمولاً على سرير من جريد فيوضع في  
ناحية من الساحة)

علي بك (لنفسه):

ويحي تفرَّق عسكري وخيامي  
أحتالُ والأحداثُ تُفسدُ حيلتي  
لما طَوْتُ مُلِكَ الكنانة راحتي  
صيرتُ حربَ الترك وجهَ سياستي  
وكفرتُ إحسان الذين خدمتهم  
في الصالحة مالَ صرْحٍ مطامعي  
النصرُ غابَ وكان طاف برائتي  
وحملتُ في سُررِ الجريد ببلدة  
قد عشتُ بالدنيا العريضة حالماً  
دنيا أردتُ من العروش حُطامها  
بالأمس جَلَلتُ الترابَ مواكبي  
اليومَ أرسفُ في دمي وجراحتي  
أنا قد جعلتُ الغرَّ مهبطَ نعمتي  
فَلدغتُ من صِلينٍ منهم عَقْبِي

وطوى الزمانُ وربُّهُ أعلامي  
وأروم والأيام دون مرامي  
لم يكفني فطلبتُ مُلِكَ الشام  
حتى اقتنيتُ عداوة الأقبام  
حتى تجرَّأ خادمي وغلامي  
وكذاك ركنُ بناية الأوهام  
حيناً وحامٌ على شباة حسامي  
وطئتُ جواهرَ عرشها أقدامي  
حتى انتبهتُ فلم أجد أحلامي  
جعلتُ سرير القش كلَّ حُطامي  
واليومَ لا خلفي ولا قدامي  
وغداً أجرُّ منيَّتي وحمامي  
وخصصتهم بمنازل الإكرام  
هذا وذاك أضاعَ حقَّ زمامي

علي بك الكبير

وتتابعَ الأُمراءَ في أثريهما يستمرئون عداوتي وخصامي

(يقبل محمد بك أبو الذهب في حاشيته)

محمد بك أبو الذهب:

يا ويح لي ماذا جرى هذا أبي وسيدي  
سيعلمُ المُغرى به كيف عقابي في غدٍ

(ويتظاهر بالأسف ويتقدم لملاقاة الجريح)

يا أسفا على (علي)! يا أسفا على أبي وسيدي وموئلي!  
يا أسفا على الكريم المفضل

أحد البكوات (همساً):

ماذا يقول؟ سيده! شئت يده شئت يده

علي بك (لمحمد بك):

محمد اسمع مراد غادر  
اقض عليه وأنت قادر

محمد بك:

لا بل تعيش سيدي وببيدك تقتله  
سيدي انس اليوم وافكر في غد

علي بك:

ليس للمغلوب غيرَ الذل غد

محمد بك:

بل غداً تبرأ من جرحك

علي بك:

قلما قام من الجرح الأسد

لا

أحد الحاضرين (همساً لآخر):

الذئبُ جربَ في المرَبِّي ظُفْرَه فأصابه  
لا تحوِ دارك أرقماً حتى تحطم نابه

علي بك (لمحمد بك):

محمد اطلب لي قليل ماءٍ إني أحس حرقه الظمأ

محمد بك:

مولاي لا باس فداؤك الناس

(محمد بك لعثمان ويناوله حقاً)

عثمانُ جيءَ بالشرابِ أغثه بالعُنابِ

علي بك:

عجلْ وأطفئْ لهيبي أسرعْ وخفّفْ عذابي

علي بك الكبير

(يذهب عثمان ثم يعود بالماء)

(علي بك لمحمد بك ويتأمل الكأس)

أغريت في الصبح بي عقورًا      ما أنا من جرحه بصاح  
والآن أرسلت كلب سوء      يدسُّ لي السُّمَّ في القراح  
وهكذا تجرحُ الأفاعي      وتُفرغُ السُّمَّ في الجراح

(علي بك لعثمان)

عثمانُ ما دَسَسْتَ لي في الكاس      عُشِبَ القفار أم تُرَابَ الماس  
السم أحيانًا طبيبُ آس

(ويشرب)

محمد بك (لعلي بك):

أبي وأميري      كفى سوء ظنِّ

علي بك:

محمد نلَّ كلَّ      ما شئت منِّي  
وما لي ألومك      والسُّمُّ فنِّي  
أخذت الخيانة      والغدر عني

(محمد بك يبتعد في حاشيته فيختلط بالأمرء الآخرين)

(علي بك وقد لمح آمال ومراد بك قادمين)

أرى ويح لي ماذا أرى؟  
مرادٌ وآمالٌ. عدويّ وزوجتي  
يُعذّبني يا رب أني أراهما  
إذن هي تهوى النذل وهو يحبها  
إذن فمرادٌ لم يثب بي وحده  
ولكن أعارته الخبيثة نابها  
أجل هدمًا عشيّ معًا وتعاونًا  
توالّت جراحاتي وطال عذابي  
فيا زمني هل من جديد مصاب؟!  
قد اختلطا من جيئةٍ وذهابٍ  
إذن ليس ما خُبرته بكذابٍ  
ولم يقتحم ستري ويسطُ ببابي  
وما في ذراها من نقيع لعابٍ  
على ثلم محرابي وهتك حجابي

آمال (لنفسها):

إلهي أعن زوجي وبُلّ جراحه  
فما باله مستوفزًا لعتابي  
رمانى بعين قلبت عن كراهة  
وعن نظرات كالشَّرار غضاب  
ترى ظنّ بي سوءًا ترى ارتاب في أخي  
ففكر في جُرمي وكيف عقابي  
له العذر في حال أضاعت صوابه  
فإني أنا الأخرى أضعت صوابي

(وتتقدم من علي بك):

سيدي مولاي

علي بك:

من؟ أنت؟

آمال:

علي بك الكبير

أجل

علي بك:

أُعزبُ زبني      عَنِّي خَلِينِي اعزُّبِي  
الأفاويلُ إذن صادقة      الرواياتُ إذن لم تكذبِ

آمال:

ما أذاعوا سيدي ما نقلوا؟

علي بك:

خَبَّرُونِي امْرَأَتِي تَعَبْتُ بِي

آمال:

مع مَنْ أَعَبْتُ! مَعَ هَذَا الْفَتَى؟      مع شقيقتي وابن أُمِّي وأبِي

علي بك (لمراد بك):

مراد

مراد بك:

مولاي

علي بك:

اعزُّبُ      لا بل تعالِ اقترِبِ

مراد بك:

أبي

علي بك:

سؤالُ يا فتى      أصخِ إليَّ أجب  
مرادُ كنتَ لا ترى      غيري فما غرَّكَ بي  
أنتَ الذي اشتريتهُ      بفضتي وذهبي  
ولم أقصِّر معه      عن واجب المؤدِّب

مراد بك:

مولاي خلَّني إلى      ضميري المُعذب  
أُعفُ فأنْتَ أهلهُ      هبْ لي جرائمي هب

علي بك:

مرادُ

مراد بك:

مُر

علي بك:

أوصيك خيراً      بالملاك الطيبِ  
أما تراها أصبَحْتُ      من غير زوجٍ وأبِ

(ثم مستمراً):

مرادُ بنيَّ أصخُ أصخِ لي      تعلِّم من الداهيين استتقد

مراد بك:

تكلم أبي هات قل سيدي وبين كدأبك سُبُل الرشد

علي بك:

بناء الممالك واهي الأساس  
وضيعتهم بعد طول الإياء  
إذا فسَد الخُلُق في أمة  
وصاحبكم ذَهَبَتْ نَفْسُهُ  
يحبُّ النساء ويهوى الطعام  
بفضل التعاونِ سُدنا البلاد  
إذا قام بانٍ إلى غاية  
وأولعَ بالعُصبةِ العاملينَ  
فلم يَرَ واحدُهم همّةً  
يمينا مرادٌ لما في البلاد  
يَلُمُّ الممالكَ من فرقة  
ويُرجعُ للطاعة المارقينَ  
فثبُّ بالغبيِّ غداً ثبُّ به

وسلطانهم مُضمحلُّ العمَدُ  
عوى الذئبِ فيها وصاح الأسد  
فقل كلُّ شيءٍ لهم قد فسَد  
فكلُّ عنايةته بالجَسَدُ  
ويبني القصورَ ويغني الولد  
ولولا تعاونُنا لم نَسُد  
تعثر بالهادم المجتهد  
رجالٌ كسالى مُنوا بالحَسَد  
وفضلاً لآخِرَ إلا حَقْد  
سِوَاكَ يليقُ لحكم البلد  
ويوقظُ من حزمهم ما رَقْدُ  
ويكسرُ من شرّةِ المستبْدُ  
وقم أنت فاحم الحمى بعد غَدُ

(ويغنى عليه)

مراد بك:

ويح للمجد حلّ بالماجد المـ  
رحمتاه له مضى وتولّى  
وتُ وأخنى على الكريم الحمام  
واستردت جمالها الأيام

آمال:

مات! لا يا مرادُ قل هو حيٌّ  
قل أخي تلك ضجعةٌ ومنامُ

فرحى يا عليُّ ما أنتَ راءٍ  
فرحى مثل يومٍ نحرٍ عليه  
ضحت الحادثات فيه بكبش  
قد أُصبنا من العيون كلانا  
مأتمٌ بين ناظريكَ يقامُ  
من دم البر لمحةً وابتسام  
فُجِعَ الشرقُ فيه والإسلام  
أدركتني وأدركتك السهام

أحد البكوات (لآخر):

أرأيتمُ أسمعتمُ جرأةً  
ما له استهتر في مواقفه  
انظروا فهو عليها مُقبلٌ  
تركا المقتولَ لم يكثرثا  
أترى يطمع أن يخلُفه  
تلك يا ويحٌ مراد ويحٌ له  
ومضى يفعلُ فعلَ السَّفَلِ  
وهي بالسمع إليه مُقبله  
لدم من حوله قد جَلَّه  
وهي هل تطلبُ زوجًا بدله

آمال (وتلتفت خوفًا):

مراد أخي

مراد بك:

ليبك آمال

آمال:

وإني لشكلى مرَّتَيْنِ وما درُوا  
ما لنا رمئنا عيونُ القوم من كلِّ جانب  
تولَّى أبي عني ولم يبق صاحبي

مراد بك:

كذاك فضولُ الناس شُغلٌ بحاضر  
ومن ألسنٌ تجري بسوءٍ وهَمُّها  
كما قد شغلناهم وشُغلٌ بغائب  
فوائدٌ عند الغير أو في مصائب



البك (لنفسه):

تدعوه يا أخي إذن لم يكن فيما رواه بلاعب

مراد بك:

تعلم إذن أن الفضول وقاحة وأن عقابي عنك ليس بعازب

البك:

وأنت تعلم أن سيفي منية وغازتي محشوة بالمعاطب

مراد بك:

وقوسك؟

البك:

قوسي ليس يخطئ سهمها

مراد بك:

ورمحك؟

البك:

مثل الأفعوان المواشب

مراد بك:

وقلبك إني لا أرى القلب حاضراً على أنه أمضى سلاح المحارب



الفصل الثالث

أميري!

محمد بك:

تلك والله ريبة

مراد بك:

تفضل أميري واستمع ثم عاتب

محمد بك:

أما هذه عرس الكبير فما أتى بها ها هنا بين ازدحام المناكب

مراد بك:

بلى يا أميري وهي أختي

محمد بك:

أخته! حنانيك ربي تلك إحدى العجائب

مراد بك:

أجل سيدي أختي اجتمعنا من النوى على قدر من صنعة الله غالب  
ولم ندر قبل اليوم أننا قرابة وأنا التقينا في كريم المناصب

محمد بك:

ومن قال للصنوين هذا؟

مراد بك:

علي بك الكبير

أبوهما

محمد بك:

وما هو؟ مَنْ؟

مراد بك:

بعض التّجار الجوالب

محمد بك:

وأين فادعوه فأُعْلي محلّه وأرفعه وابنيه فَوْق الكواكب

مراد بك:

تعيش وتبقى، مات

محمد بك:

مات أبوكما؟

مراد بك:

أجل. هو ذا يَدَمَى وراء العصائب

محمد بك:

جريح؟

مراد بك:

الفصل الثالث

أجل لكن قَضَى من جراحِهِ

محمد بك:

قتيلٌ؟

مراد بك:

أجل ثاوٍ وراءَ السبابِ

محمد بك:

وما تصنعانِ الآنَ؟

مراد بك:

ما أنتَ أمرٌ

محمد بك:

هناك حراسي وثَمَّ ركائبِي  
فخذها إلى الفُسطاطِ حتى تَجِي بها  
إلى قصرِها محفوفةً بالرغائبِ  
وبعد غد تجري على القصرِ نعمتي  
ويأتيه بزِّي كالغيوثِ السواكبِ

آمال (وهي منصرفة):

وداعًا أبي!

محمد بك:

صبرًا جميلًا أميرتي ولا تفعلي فعل البواكي النوادب

آمال:

عفا الله عنه كان شيخاً مصلياً      محباً اليتامى راغباً في المثاب  
لقد طلب الدنيا بمصر فنالها      فولّى إلى الأخرى وجوه المطالب